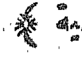
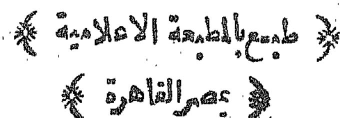
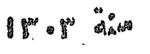
كتاب المضنون به على غير أهله للشيخ
الامام حجة الاسلام زين الدين
أبي حامد محمد بن محمد
ابن محمد الغزالي
الطوسي نفع
الله ببركاته
آمين



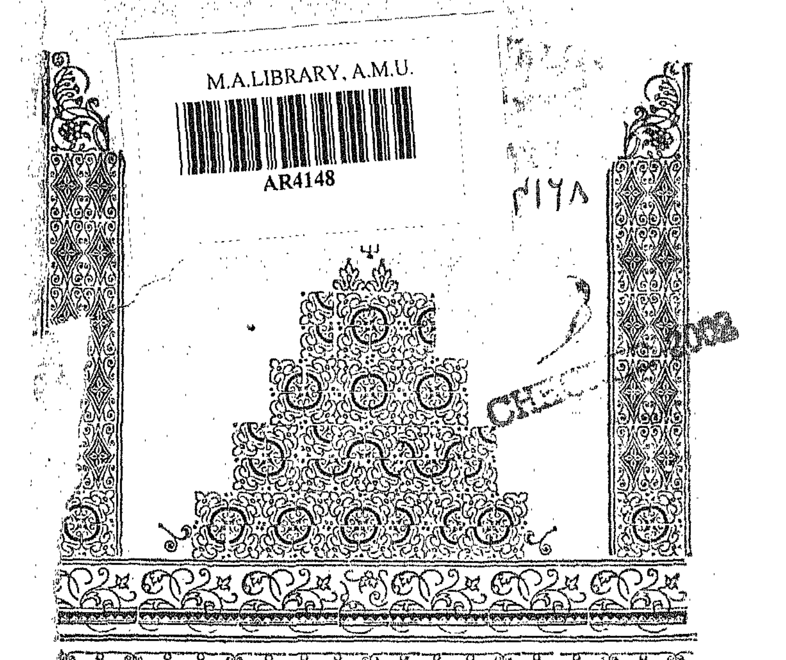


﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية ﴾

﴿ بمصر القاهرة ﴾



سنة ١٣٠٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على موجب ما هدانا الى حمده ووفقنا للقيام بشكره والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف من انتسب الى آدم عليه السلام وعلى صحبه الأخيار اعلم ان لكل صناعة أهلا يعرف قدرها ومن أهدى نفائس صناعة الى غير اربابها فقد ظلمها وهذا علق نفيس مضنون به على غير أهله فمن صانه عمن لا يعرف قدره فقد قضى حقه أكرمت بهذا العلق على سبيل التهادى أخى وعزيزى أحمد صانه الله عن الركون الى دار الغرور وأهله لمعرفة بعض حقائق الاشياء

التى

التى كانت معرفة جميعها مطلوبة لسيد ولد آدم عليه السلام حيث قال أرنا الاشياء كما هى وهذا العلق المضنون به على غير أهله يشتمل على أربعة أركان

(الركن الاول) فى معرفة الربوبية

(الركن الثانى) فى معرفة الملائكة

(الركن الثالث) فى حقائق المعجزات

(الركن الرابع) فى معرفة ما بعد الموت والانتقال من الدنيا الى العقبى وفقنا الله تعالى لما يرضى و يحب فانه خير موفق ومعين واليه المرجع والمصير

﴿ الركن الاول فى علم الربوبية ﴾

﴿ فصل ﴾ الزمان لا يكون محدودا وخالق الزمان فى الزمان أمر محال فاليوم هو الكون الحادث فى اللغة وايام الله حيث قال وذكرهم بأيام الله مراتب مخلوقاته ومصنوعاته ومبدعاته من وجوه (منها) قوله فى أربعة أيام فيوم مادة السماء ويوم صورتها ويوم كواكبها ويوم نفوسها وقوله خلق الارض فى يومين المادة والصورة ومادة السموات ومادة بروجها صورة واحدة ومادة الارض مادة مشتركة بين أزواج وفحول وهى أخس لانها مثل مومسة تقبل كل ناكح (ومنها) الجماد والمعدنيات داخلة فى الجماد والنبات والحيوانات البهم والانسان (ومنها) الارض والماء والهواء والنار والآثار العلوية والاجرام السماوية وكل ما هو فوق الارض فهو سماء من طريق اللغة لان أهل اللغة تقول كل ما علاك فهو سماؤك وكل ما دون الفلك يعنى فلك القمر

بالنسبة الى الافلاك أرض اقوله ومن الارض مثلهن (الاولى) كرة النار (والثانية) كرة الهواء (والثالثة) كرة الطين الجف الذى فوق الماء (والرابعة) الماء (والخامسة) الارض البسيطة (والسادسة) المتركبات من هذه الاشياء والسابعة الآثار العلوية

﴿ فصل فايرتقوا فى الاسباب ﴾ الارتقاء صعود الاخس الى الاشرف حتى ينتهى الى واجب الوجود كما قال تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب وقوله تعالى أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الاول انطباق فلك البروج على معدل النهار والفتق بعد الرتق ظهور الميل

﴿ فصل الرزق مقدر مضمون ﴾ وهو من المعقولات لا من المنقولات لان الحق تعالى عقل ذاته وما توجبه ذاته فهو قد عقل جميع الموجودات وان كان بالقصد الثانى وانما يوجب وجود كل واحد منها أعنى من الموجودات المبدعات على ما وجد لانه سبحانه وتعالى يعقل وجود الكل من ذاته فكما ان تعقله ذاته لا يجوز ان يتغير كذلك تعقله الكل ما توجبه ذاته ولكل ما يعقل وجوده من ذاته لا يتغير بل يجب وجود كل ذلك ووجود انواع الحيوانات و بقاؤها متعقل لا شك فيه خصوصا النوع الانسانى والنوع انما يبقى محفوظا بالاشخاص و بلوغ كل شخص الى الغاية التى يمكن ان يولد شخصا آخر مثله لا يمكن الا ببقائه مدة و بقاؤه تلك المدة لا يصح الا بما فيه قوام الحياة وقوام الحياة بالرزق لانه تعالى يعقل وجود الكل من ذاته و وجود ما يعقله من ذاته

ذاته واجب وتعقل بقاء النوع الانسانى ببقاء الاشخاص وتناسلهم وتعقل تناسلهم ببقاء كل شخص وتعقل بقاء كل شخص مدة بما فيه قوام حياته وهو الرزق والرزق اغلبا يكون من النبات والحيوان وهما الخبز واللحم والفواكه من جملة النبات واكثر الحلاوى فوجب ان يكون الرزق مضمونا بتقدير الرؤف الرحيم لذلك قال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون

﴿ فصل ﴾ من لا يعرف حقيقة الرؤيا لا يعرف حقائق أقسام الرؤيا ومن لا يعرف حقيقة رؤيا الرسول عليه السلام وسائر الرسل بل رؤيا الذين ماتوا لا يعرف رؤيا الله تعالى فى المنام والعامى يتصور ان من رأى رسول الله فى المنام فقد رآى حقيقة شخصه وكما ان المعنى الذى وقع فى النفس حاكى الخيال عنه بلفظ فكذلك كل نقش ارتسم فى النفس يمثل الخيال له صورة ولا أدرى أنه كيف يتصور رؤية شخص الرسول فى المنام وشخصه مودع فى روضة المدينة وماشق القبر وماخرج الى موضع يراه النائم ولئن سلمنا ذلك فربما يراه فى ليلة واحدة الف نائم فى ألف موضع على صور مختلفة والوهم يساعد العقل فى أنه لا يمكن تصور شخص واحد فى حالة واحدة فى مكانين ولا على صورتين طويل وربع وشاب وكهل وشيخ ومن لا يحيط معرفته بفساد هذا التصور فقد قنع من غريزة العقل بالاسم والرسم دون الحقيقة والمعنى ولا ينبغى ان يعاتب بل لا ينبغى ان يخاطب فلعله يقول ما يراه مثاله لا شخصه ويقال هو مثال شخصه أو مثال حقيقة روحه المقدسة

عن الصورة والشكل فان قال هو مثال شخصه الذى هو عظمه ولحمه
فأى حاجة الى شخصه وشخصه فى نفسه متخيل ومحسوس ثم من رأى
شخصه بعد الموت دون الروح فكأنه ما رأى النبى بل رأى جسما كان
يتحرك بتحريك النبى عليه الصلاة والسلام فكيف يكون رائيا له برؤية
مثال شخصه بل الحق انه مثال روحه المقدسة التى هى محل النبوة فما
رآه من الشكل ليس هو روح النبى وجوهره ولا شخصه بل مثاله
على التحقيق (فان قيل) فأى معنى لقوله عليه الصلاة والسلام من
رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى (قلنا) لا معنى له الا ان
ما رآه مثال واسطة بين النبى وبينه من تعريف الحق اياه فكما ان
جوهر النبوة أعنى الروح المقدسة الباقية من النبى بعد وفاته منزهة
عن اللون والشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفاته الى الامة
بواسطة مثال صادق ذى شكل ولون وصورة واذا كان جوهر النبوة
منزها عن ذلك فكذلك ذات الله منزه عن الشكل والصورة ولكن
تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره من
الصور الجميلة التى تصلح ان تكون مثالا للجمال المعنوى الحقيقى الذى
لا صورة له ولا لون ويكون ذلك المثال صادقا وحقا وواسطة فى التعريف
فيقول النائم رأيت الله تعالى فى المنام لا بمعنى انى رأيت ذاته كما يقول
رأيت النبى لا بمعنى انه رأى ذات النبى وروحه أو ذات شخصه بل
بمعنى أنه رأى مثاله (فان قيل) ان النبى له مثل والله تعالى لا مثل له
(قلنا) هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال فليس المثال عبارة عن المثل
فالمثل عبارة عن المساوى فى جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى

المساواة

المساواة فان للعقل معنى لايماثله غيره (ولنا) أن نصور الشمس له مثالا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف في المثال بل السلطان يمثل في النوم بالشمس والقمر بالوزير والسلطان لايماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له استعلاء على الكافة وبهم اثره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة اثر النور كما ان الوزير واسطة بين السلطان والرعية في افاضة اثر العدل فهذا مثال وليس بمثل والله تعالى قال (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فأى مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة والشجرة والزيت قال الله تعالى (انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا) الآية ذكر ذلك تمثيلا للقرآن والقرآن صفة قديمة لا مثل له فكيف صار الماء له مثالا وكم من المنامات عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رؤيا اللبن أو حبل فقال اللبن هو الاسلام والحبل هو القرآن الى امثال له لاتحصى وأى مماثلة بين اللبن والاسلام والحبل والقرآن الا في مناسبة وهو ان الحبل يتمسك به للنجاة والقرآن كذلك واللبن غذاء تتغذى به الحياة الظاهرة والاسلام غذاء تتغذى به الحياة الباطنة فهذا كله مثال وليس بمثل بل هذه الاشياء لامثل لها والله تعالى لامثل له لكن له امثلة بحسب كية لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى فانا اذا عرفنا المسترشد ان الله

تعالى كيف يخلق الاشياء وكيف يعلمها وكيف يريدها وكيف و[illegible]
يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه مثلنا جميع ذلك بالانسان ولولا راى
ان الانسان عرف من نفسه هذه الصفات لما فهم مثاله فى حق الله [illegible]
تعالى فالمثال فى حق الله تعالى جائز والمثل باطل فان المثال هو
ما يوضح الشئ والمثل ما يشابه الشئ (فان قيل) هذا التحقيق الذى [illegible]
ذكرتموه ليس يفضى الى ان الله تعالى يرى فى المنام بل الى ان الرسول [illegible]
أيضا لا يرى فان المرئى مثاله لا عينه فقوله من رآنى فى المنام فقد رآنى
فهو نوع تجوز معناه كانه رآنى وما سمع من المثال كانه سمع منى (قلنا)
وهذا ما يريده القائل بقوله رأيت الله تعالى فى المنام لا غير اما ان
من يريد به انه رآى ذاته على ما هو عليه فلا فانه حصل الاتفاق على ان
ذات الله تعالى لا ترى وان مثالا يعتقده النائم ذات الله تعالى أو ذات
النبى يجوز ان يرى وكيف ينكر ذلك مع وجوده فى المنامات فان لم يره
بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم رأوا ذلك الا ان المثال المعتقد
قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا ومعنى الصادق ان الله تعالى [illegible]
جعل رؤياه واسطة بين الرائى وبين النبى فى تعريف بعض الامور
وفى قدرة الله تعالى خلق مثل هذه الواسطة بين العبد وبين اتصال
الحق به وهو موجود فكيف يمكن انكاره (فان قيل) اذا كانت رؤية
الرسول تجوزا فالتجوز مما قد اذن فى اطلاقه فى حقه ولا يجوز فى حق
الله تعالى من الاطلاقات الا ما ورد الاذن به (قلنا) قد ورد الاذن باطلاق
ذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربى فى احسن
صورة وهذا مما أورد فى الاخبار التى وردت فى اثبات الصورة لله تعالى

حيث

حيث قال ان الله خلق آدم على صورته وليس المراد به صورة الذات اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال كما تجلى جبريل في صورة دحية الكلبي وفي غيرها من الصور حتى انه رآه مرارا كثيرة وما رآه في صورته الحقيقية الا مرة او مرتين وتمثل جبريل في صورة دحية الكلبي ليس بمعنى انه انقلب ذات جبريل صورة دحية الكلبي بل انه ظهرت تلك الصورة للرسول مثالا مؤديا عن جبريل ما اوحى اليه وكذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واذا لم يكن ذلك استحالة في ذات الملك وانقلابا بل بقي جبريل على حقيقته وصفته وان ظهر للنبي في صورة دحية الكلبي فلا يستحيل مثل ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا في منام فهذا ما يدل من جهة الخبر على جواز اطلاقه وقد ورد عن السلف اطلاق ذلك ونقلت فيه آثار واخبار ولو لم يرد فيه اطلاق لكنا نقول يجوز اطلاق كل لفظة في حق الله تعالى صادقة لا منع منه ولا تحريم اذا كان لا يوهم الخطأ عند المستمع وهذا لا يوهم رؤية الذات عند الاكثرين لكثرة تداول الالسنة له فان فرض شخص توهم عنده خلاف الحق فلا ينبغي ان يطلق معه القول بل يفسر له معناه كما يجوز ان تقول انا نحب الله تعالى او نشتاق اليه ونريد لقاءه وقد يسبق الى فهم قوم من هذه الاطلاقات خيالات فاسدة والاكثرون يفهمون معناه على وجهه من غير خيال فاسد ويراعى في هذه الاطلاقات حال خيال المخاطب فيجوز الاطلاق من غير كشف ولا تفسير حيث لا ايهام ويجب الكشف عند الايهام وعلى الجملة هذا يرد الخلاف الى اطلاق اللفظ وجوازه بعد حصول الاتفاق

على لفظ المعنى من ان ذات الله تعالى مرئية وان المرئى مثال وظن من ظن استحالة المثال فى حق الله تعالى خطأ بل نضرب لله تعالى واصفاته الامثال وننزهه عن المثل ولا ننزهه عن المثال وله المثل الاعلى

﴿ فصل قوله تعالى قل هو الله احد ﴾ فرق بين الواحد والاحد قال الله تعالى والهكم اله واحد فيقال الانسان شخص واحد وصنف واحد والمراد به انه جملة هى جملة واحدة و يقال الف واحد فالواحد المشار اليه من طريق العقل والحس هو الذى يمتنع مفهومه عن وقوع الشركة فيه والاحد هو الذى لا تركيب فيه ولا جزء له بوجه من الوجوه فالواحد نفى الشريك والمثل والاحد نفى الكثرة فى ذاته وقوله تعالى الله الصمد الصمد الغنى المحتاج اليه غيره وهذا دليل على ان الله تعالى احدى الذات وواحد لانه لو كان له شريك فى ملكه لما كان صمدا غنيا يحتاج اليه غيره بل كان هو ايضا يحتاج الى شريكه فى المشاركة او التثنية ولو كان له اجزاء تركيب وحد لما كان صمدا يحتاج اليه غيره بل هو محتاج فى قوامه و وجوده الى اجزاء تركيبه وحده فالصمدية دليل على الواحدية والاحدية ولم يلد دليل على ان وجوده المستمر ليس مثل وجود الانسان الذى يبقى نوعه بالتوالد والتناسل بل هو وجود مستمر ازلى وابدى ولم يولد دليل على ان وجوده ليس مثل وجود الانسان الذى يحصل بعد العدم و يبقى دائما اما فى جنة عاليه لا تفنى واما فى هاوية لا تنقطع ولم يكن له كفوا احد دليل على ان الوجود الحقيقى الذى له تبارك وتعالى وهو

الوجود

الوجود الذي يفيد وجود غيره ولا يستفيد الوجود من غيره ليس الاله تبارك وتعالى فقوله قل هو الله أحد دليل على اثبات ذاته المنزه المقدس والصمدية نفي واضافة نفي الحاجة عنه واحتياج غيره اليه والاحدية ولم يلد الى آخر السورة سلب ما يوصف به غيره تعالى عنه فلا طريق في معرفة ذات الله تعالى أبين وأوضح من سلب صفات المخلوقات عنه

﴿ فصل ﴾ يتخيل بعض الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق تعدد الصفات وقد صح قول من قال في الصفات لا هو ولا غيره وهذا التخيل يقع من توهم التغاير ولا تغاير في الصفات مثال ذلك ان انسانا يعلم صورة الكتابة وله علم بصورة بسم الله التي تظهر تلك الصورة على القرطاس وهذه صفة واحدة وكمالها ان يكون المعلوم تبعا لها فانه اذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد فهذه الصفة من حيث ان المعلوم انكشف بها يقال لها علم ومن حيث ان الالفاظ تدل عليها يقال لها كلام فان الكلام عبارة عن مدلول العبارات ومن حيث ان وجود المعلوم تبع لها يقال لها القدرة ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام فان هذه صفة واحدة في نفسها ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة وكل من كان أعور ينظر بالعين العوراء فلا يرى الا مطلق الصفة فيقول هو هو واذا التفت الى الاعتبارات الثلاث فقال هي غيره ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين صحيحتين اعتقد انها لا هو ولا غيره والكلام في صفات الله

تعالى وان كان مناسبا لهذا المثال فهو مباين له بوجه آخر وتفهيم هذه المعانى بالكتابة عسير غير يسير وأما الوهم الذى وقع لبعض الناس ان المثال فى حق أوصاف الله تعالى لا يجوز فدفعه ان ذلك المتوهم لم يميز بين المثل والمثال فان المثال يحتاج اليه كما ذكرناه فى ان يسترق للمعنى المعقول من الصور المحسوسة صورة توضحه وتوصل ذلك المعنى المعقول الى فهم المستفيد وأما المحسوس فلا يحتاج الى مثال لان المحسوس بعينه مندرج فى الخيال ألا ترى ان من رأى المقدحة والزند والنار تحصل بينهما لا يحتاج الى مثال لهذه الاشياء ولكن المعقول المحض الذى لا يندرج فى الخيال ولا يضبطه الخيال فانه يحتاج الى الاستعانة بالخيال حتى يصل الى فهم الضعفاء وليس لله تعالى مثل كما قال ليس كمثله شئ ولكن له مثال وقول النبى عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته اشارة الى هذا المثال فانه لما كان تعالى وتقدس موجودا قائما بنفسه حيا سميعا بصيرا عالما قادرا متكلما فالانسان كذلك ولو لم يكن الانسان بهذه الاوصاف موصوفا لم يعرف الله تعالى ولذلك قال النبى عليه الصلاة والسلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فان كل ما لم يجد الانسان له من نفسه مثالا يعسر عليه التصديق به والاقرار وقد أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام أيها الانسان اعرف نفسك تعرف ربك ولذلك لا يحيط علم الانسان بأخص وصف الله تعالى لانه ليس فى المبدعات والمخلوقات مثال وانموذج من ذلك الوصف الخاص وكذلك الاسم للوصف الخاص

الذى

الذي له تعالى لان الانسان انما يسمى الشئ بعد معرفته اياه واذا لم يكن للانسان اليه طريق وانموذج فلا علم له به ولا اسم له عنده ولا علامة فكيف يعرفه فلذلك لا يعرف الله الا الله أعني أخص وصفه وكنه معرفته فمن قال ان الانسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم والله تعالى كذلك لا يكون هذا القائل مشبها فان التشبيه اثبات المشاركة في الوصف الاخص ومن قال ان السواد عرض موجود وهو لون والبياض عرض موجود وهو لون لا يكون مشبها السواد بالبياض فان الاشتراك في اللونية والعرضية والوجودية لا يكون تشبيها بينهما فان هذه أوصاف تعمها والموجودات كلها مشتركة في الوجود العام ولا تماثل بينها وكذلك لا تماثل بين السواد والبياض مع اشتراكهما في اللونية والعرضية والوجودية فالمثال في حق الله سائغ جائز والمثل مستحيل فانا نقول الله تعالى مدبر متصرف في العالم وليس في العالم مثال ذلك ان أصبع الانسان يحرك ويحركه علمه وارادته وليس فيها العلم والارادة فيقع التفهيم بسبب ذلك وتصور الضعيف انه كيف يكون مدبرا فاعلا في شئ غير مجاور له ولا حال فيه

﴿ فصل ﴾ تكليف الله تعالى عباده لا يضاهي تكليف الانسان عبده الاعمال التي يرتبط بها غرضه وما لا حظ له فيه وما لا يحتاج اليه فلا يكلفه به وتكليف الله تعالى عباده يجري مجرى تكليف الطبيب المريض فاذا غلبت عليه الحرارة أمره بشرب المبردات والطبيب غني عن شربه لا يضره مخالفته ولا ينفعه موافقته ولكن الضر والنفع يرجعان

الى المريض وانما الطبيب هاد ومرشد فقط فان وفق المريض حتى وافق الطبيب شفي وتخلص وان لم يوفق لها فربما تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سيان فانه مستغن عن بقائه وفنائه ثم فكما ان الله تعالى خالق للشفاء سببا مفضيا اليه كذلك خالق للسعادة في سببا وهو الطاعات ونهي النفس عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها عن رذائل الاخلاق منجيات ورذائل الاخلاق في الآخرة مهلكات كما ان رذائل الاخلاط ممرضات في الدنيا ومهلكات والمعاصي بالاضافة الى حياة الآخرة كالسموم بالاضافة الى حياة الدنيا وللنفوس طب كما ان للاجساد طبا والانبياء عليهم الصلاة والسلام اطباء النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح بتمهيد الطريق المزكية للقلوب كما قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم يقال ان الطبيب أمره بكذا ونهاه عن كذا وانه زاد مرضه لانه خالف الطبيب وانه صح لانه راعى قانون الطبيب ولم يقصر في الاحتماء وبالحقيقة لم يتماد مرض المريض بمخالفة الطبيب لعين المخالفة بل لانه سلك غير طريق الصحة التي أمره الطبيب بها فكذلك التقوى هي الاحتماء الذي ينفي عن القلوب امراضها وامراض القلوب تفوت حياة الآخرة كما تفوت امراض الاجساد حياة الدنيا والمثال الآخر أن ملكا من ملوك الناس يد بعض عبيده الغائب عن مجلسه بمال ومركوب ليتوجه ثانيا الينا الرتبة القرب منه ويسعد بسببه مع استغنائه الملك عن الاستعانة به وتصميم العزم على أن لا يستخدمه أصلا ثم ان العبد ان ضيع

المركوب وأهلكه وأنفق المال لافى زاد الطريق كان كافرا للنعمة وان ركب المركوب وأنفق المال فى الطريق متزودا به كان شاكرا للنعمة لا بمعنى أنه أنال الملك حظا فانه لم يرد فى الانعام عليه وفى تكليفه الحضور حظا لنفسه ولكن أراد سعادة العبد فاذا وافق مراد السيد فيه كان شاكرا وان خالف عدت مخالفته كفرانا والله تعالى يستوى عنده كفر الكافرين وايمانهم بالاضافة الى جلاله واستغنائه ولكنه لا يرضى لعباده الكفر فانه لا يصلح لعباده فانه يشقيهم كما لا يرضى الطبيب هلاك المرضى وبعالجهم ولا يرضى الملك المستغنى عن عبده لعبده الشقاوة بالبعد عنه ويريد له السعادة بالقرب منه وهو فى غنى عنه قرب أو بعد فهكذا ينبغى أن يفهم أمر التكليف فان الطاعات أدوية والمعاصى سموم وتأثيرها فى القلوب ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم كما لا تسعد الصحة الا من أتى بمزاج معتدل وكما صح قول الطبيب للمريض قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتنى فلنفسك وان خالفت فعليها كذلك قال الله تعالى من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وأما العقاب على ترك الامر وارتكاب النهى فليس العقاب من الله تعالى غضبا وانتقاما ومثال ذلك أن من غادر الوقاع عاقبه الله تعالى بعدم الولد ومن ترك ارضاع الطفل عاقبه بهلاك الولد ومن ترك الاكل والشرب عاقبه بالجوع والعطش ومن ترك تناول الادوية عاقبه بألم المرض وغضب الله تعالى على عباده غير ارادته الايلام كما أن الاسباب

والمسببات يتأدى بعضها الى بعض فى الدنيا بترتيب مسبب الاسباب
فبعضها يفضى الى الآلام وبعضها الى اللذات ولا يعرف عواقبها
الا الانبياء فكذلك نسبة الطاعات والمعاصى الى آلام الآخرة ولذاتها
من غير فرق فالسؤال عن أنه لم تفضى المعصية الى العقاب كالسؤال
فى أنه لم يهلك الحيوان عن السم ولم يؤدى السم الى الهلاك ولم خلق
جسد الانسان على وجه ينفعل فيه السم أثرا وينفعل البدن عنه
وهو لا ينفعل عن البدن فكذلك الكلام فى أنه لم خلق الله تعالى
نفس الانسان على وجه تكملها وتنجيها الفضائل وتهلكها الرذائل
هذا والله تعالى غير عاجز عن الاشباع من غير أكل والارواء من غير
شرب والانشاء من غير مصاحبة ووقاع والاغناء من غير رضاع
ولكنه قد رتب الاسباب والمسببات ولذلك سر وحكمة لا يعلمها
الا الله تعالى والراسخون فى العلم وليس هذا بعجب وانما العجب من
هذا التدبير المحكم والنظام المتقن ولعمرى أن من لا يهتدى الى سر
الحكمة فيه يتعجب منه لقصور هدايته ولو كان كذلك اضاع حظ
النبات والحيوانات التى هى ألطف الحيوانات وأقربها الى الاعتدال
مثل الغنم والنعاج والقباح والدجاج وغيرها وكمال النبات أن
يصير غذاء لما هو أعلى منه بالرتبة وهو الحيوان ولذلك يقوم بدل
ما يتحلل منه فيصير جزء منه متشبها به وهذا كماله وكذلك نسبة
الحيوانات المذبوحة الى الانسان ونسبة الانسان الى الملائكة فى
جنات عدن كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وأما
كون بعض الحيوانات البهم غذاء لبعض السباع الضارية ففى

السباع الضوارى فوائد ومنافع سياسية وطبية يعرفها أرباب السياسة والاطباء ومثال من يتعجب من وضع هذه الاشياء على ترتيب النظام الكلى على موجب تقدير العزيز الحكيم كمثل الاعمى الذى دخل دارا فتعثر بالاوانى الموضوعة فى صحن الدار فقال لاهل الدار ما الذى أزال عقولكم لماذا لا تردون هذه الاوانى الى مواضعها ولم تركتموها على الطريق فقيل له انها موضوعة فى مواضعها وانما الخلل من فقد البصر وكمثل الاخشم الذى لا يدرك الروايح فيلوم واضع اللخالخ والمثلثات والفواكه العطرة الطيبة بين يديه فقال هذا قد شغل المكان فقط فقيل له فى الوجود فائدة سوى اتخاذه على جهة الطب وانما المانع من ادراكه هو الخشم وههنا مباحثة أخرى منها ان الله تعالى كيف يأمر بالشئ ويمنع من البحث عنه والبصيرة لا تحصل الا بالبحث عنه وهذا تعجب فاسد فان العمل يستدعى اعتقادا جازما أو معرفة حقيقية والاعتقاد الجازم يعرف بالتقليد المجرد على سبيل التصديق والايمان والمعرفة تحصل بالبرهان والوصول اليها بالبحث ولم يمنع عن البحث الخلائق كلهم بل الضعفاء العاجزون عن الاطلاع على حقائق البرهان ومعضلات البحث ومثال ذلك الطبيب الذى يأمر العليل بشرب الدواء ويمنعه عن البحث عن سبب كون هذا الدواء شافيا فانه يقصر عنه فهمه ويشق عليه ويعجز عنه ويزداد المرض ويستضر به فان وجد على سبيل الندور رجلا ذكيا سالكا منهاج الطب وعلل الامراض لم يمنعه عن البحث ولم يمنعه عن ذكر المناسبة بين دوائه وبين مرضه بل اذا علم انه

ليس يؤمن بمجرد قوله وليس يقلد محض التقليد لما خص به من الذكاء
وما يفهم من أسباب العلة وعلم انه اذا فهم العلة والمناسبة اشتغل
بالعلاج وان لم يكن يفهم اعرض عن التقليد وجب عليه ذكر المناسبة
والعلة ولم يمنع من البحث اذا علم استقلاله به الا ان ذلك نادر في المرضى
جدا والاكثرون يضعفون عن ذلك وكذلك معرفة العلل والاسرار
والبحث عنها في الشرعيات من هذا القبيل وأما تسخير البهائم للانسان
مثل من يمشي خطوات مثلا لينظر الى منتزهات ووجوه حسان فيقال له
كيف اتعب رجله وسخرها لاجل عينيه والعين آلة كما ان الرجل آلته
فما باله جعل احداهما خادمة واتعبها وجعل الاخرى مخدومة وطلب
راحتها وهذا جهل بالاقدار والمراتب بل العاقل يعلم ان الكامل أبدا
يفدى بالناقص وان الناقص يسخر لاجل الكامل وهو عين
الحكمة وليس ذلك بظلم فان الظلم هو التصرف في ملك الغير والله تعالى
لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فلا يتصور منه
ظلم بل له ان يفعل ما يشاء في ملكه ويكون عادلا والوحي الالهي
والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل فان أراد بنبو العقل ان
برهان العقل يدل على استحالته كخلق الله تعالى مثل نفسه أو الجمع
بين المتضادين فهذا مما لا يرد الشرع به وان أراد به ما يقصر العقل
عن ادراكه ولا يستقل بالاحاطة بكنهه فهذا ليس بمحال ان يكون
في علم الاطباء مثلا جذب المغناطيس للحديد وان المرأة لو مشت فوق
حية مخصوصة القت الجنين وغير ذلك من الخواص وهذا مما ينبو
عنه العقل بمعنى انه لا يقف على حقيقته ولا يستقل بالاطلاع عليه

فلا

فلا ينبو عنه الحكم باستحالته وليس كل مالا يدركه العقل محالا في نفسه بل لو لم نشاهد سقط النار واخراجها فاخبرنا مخبر وقال اني أحك خشبة بخشبة واستخرج من بينهما شيأ أحمر بمقدار عدسة فيأكل هذه البلدة وأهلها حتى لا يبقى منهم شئ من غير ان ينتقل ذلك الى جوفها ومن غير ان تزيد في حجمها بل تأكل نفسها فلا تبقى هي ولا البلد لكنا نقول هذا الشئ ينبو عنه العقل ولا يقبله وهذه صورة النار والحس قد صدق ذلك وكذلك قد يشتمل الشرع على مثل هذه العجائب التي ليست مستحيلة وانما هي مستبعدة وفرق بين البعيد والمحال فان البعيد هو ما ليس بمألوف والمحال ما لا يتصور كونه وأما معنى قول الله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله تعالى لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا فالسؤال قد يطلق ويراد به الالزام يقال ناظر فلان فلانا وتوجه عليه سؤاله وقد يطلق ويراد به الاستخبار كما يسأل التلميذ استاذه والله تعالى لا يتوجه عليه السؤال بمعنى الالزام وهو المعنى بقوله لا يسئل عما يفعل اذ لا يقال له لم قول الزام فاما ان لا يستخبر ولا يستفهم فليس كذلك وهو المراد بقوله لم حشرتني أعمى وهذا القدر كاف في جواب هذه الاسئلة ومن ترقى عن محل التقليد أدنى كياسة ولم ينته الى رتبة الاستقلال كان من الهالكين فنعوذ بالله من كياسة لا تنفع فان الجهالة أدنى الى الخلاص والنجاة منها

﴿ شعر ﴾

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

﴿فصل﴾ اذا عرفت انك حادث وان الحادث لا يستغني عن محدث فقد

حصل لك البرهان على الايمان بالله وما أقرب الى العقل هاتين المعرفتين
أعني انك حادث وان الحادث لا يحدث بنفسه واذا عرفت نفسك
وانك جوهر خاصيتك معرفة الله ومعرفة ما ليس بمحسوس وليس
البدن من قوام ذاتك فانهدام البدن لا يعدمك فقد عرفت اليوم الآخر
بالبرهان فانه لا معنى له الا ان لك يومين يوم حاضر انت فيه مشغول
بهذا البدن ويوم آخر انت فيه مفارق لهذا الجسد واذا لم يكن قوام لك
بالجسد وقد فارقته بالموت فقد حصل اليوم الآخر واذا عرفت انك
اذا فارقت المحسوسات بمفارقة الجسد تلقيت اما نعمة هى معرفة الله
تعالى التى هى خاصية ذاتك ومشتهى لذاتك بمقتضى طبعك الاصلى لو لم
تمرض بالميل الى الشهوات واما عذابا بالحجاب عن الله تعالى الذى هو
مشتهى شهوتك من حيث الطبع الاصلى كما قال تعالى وحيل بينهم وبين
ما يشتهون وعرفت ان سبب المعرفة الذكر والفكر والاعراض عن
غير الله تعالى وسبب المرض المانع عن ذكر الله ومعرفته الاقبال على
الشهوات والحرص على الدنيا وعرفت ان الله تعالى قادر على ان
يعرف عموم عباده ذلك بواسطة الكشف لبعض خواص عباده
وعرفت انه قد فعل ذلك فقد عرفت رسله بالبرهان وآمنت واذا
عرفت ان هذه التعريفات للانبياء انما تكون فى كسو
ألفاظ وعبارات توحى اليهم وتلقى فى سمعهم اما فى يقظة أو فى منام فقد
آمنت بالكتب واذا عرفت أن أفعال الله تعالى منقسمة الى ما فعله
بواسطة والى ما فعله بغير واسطة وان وسائطه مختلفة المراتب فالوسائط
القريبة هم المقربون وعنهم يعبر بالملائكة لكن معرفة هذا

بطريق

بطريق البرهان عسير والقول فيه طويل فصدق الرسل في اخبارهم عنهم بعد ان عرفت صدق الرسل بالبرهان واكتف بذلك فانه درجة من درجات الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

﴿ فصل ﴾ كل ما يتوالد فلا يستحيل ان يتولد أصلا وما يتولد لا يستحيل ان يتوالد فقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج عنى به الانسان التوالدى (وقوله) خلقناكم من تراب عنى به الانسان التولدى وقد تتولد العقارب من الباذروج ولباب الخبز والحيات من الشعر والنحل من العجل المختنق المنكسرة عظامه والبق من الخل وسام أبرص من القرنبيط والخنافس من البعرة ومن نوى النبق العقرب الجرارة ومن الشعر الحيات ومن الطين والمدر الفأر ومن حابن أصول القصب الدائم الرطوبة الطير ولاسيما طير الماء وامثال ذلك كما ذكر في كتب الطلسمات وغيرها ثم يتوالد هذا المتولد ويبقى نوعه بالتوالد وانطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب العالم السفلي وتغييره للفصول أعنى الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل كما قال تعالى كل من عليها فان يعنى على الارض فخلق الله تعالى آدم من تراب ثم حصل منه التوالد ونظير ذلك مشاهد وكذا الصنائع والحرف تحصل من طريق الالهام ثم تستفاد وتتعلم وتحصل النار من المقدحة والزند ثم تقتبس بعد حصولها ذلك تقدير العزيز العليم الذى خلق عند انفراج الدائرتين معدل النهار وفلك البروج الذى يتزايد الميل الذى خلق بينهما

آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه
من روحه فمن شك في كيفية بدء الخلق ووضع الصانع الحكيم في
التوالد والتولد فلينظر الى المحسوسات التي ذكرناها وأما النشأة
الاخرى وكيفية عود النفوس والارواح الى اشباحها فنذكرها
في بابها

﴿ فصل ﴾ المبدعات والمخلوقات احدثها الله تعالى نازلة بالترتيب
فهو الاول الذي لا اول قبله ومنه تحصل المبدعات بل الممكنات
بأسرها ثم يتنزل الترتيب من الاشرف فالاشرف حتى ينتهي الى
المادة التي هي أخس الاشياء ثم ابتدأ تعالى من الاخس عائدا
الى الاشرف حتى انتهى الى الانسان ويعود الانسان عند زكاء
نفسه الى حيث قال ارجعي الى ربك راضية مرضية ولذلك قال هو
الاول والآخر والظاهر والباطن أما الظاهر فمركوز في غرائز
العقول ان للكل مبدأ وان للحادث محدثا وللممكن موجدا
واجبا وأما الباطن فلان وصفه الخاص لا يعرفه الا هو وربما
كان باطنا لغاية ظهوره كما ان الشمس التي هي في غاية البعد من هذا
المثال ظاهر باهر وبسبب غاية ظهورها لا تدركها الحاسة المبصرة
محاذاة ومقابلة (والميزان) ما تعرف به حقائق الاشياء ويميز
صحيح العقيدة من الفاسد وهو الواسطة بين السماء والارض حيث
قال والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان وأقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام وذلك
الميزان سر من اسرار الربوبية لا يعرفه الا الراسخون في العلم والله
اعلم

﴿ الركن الثانى فى معرفة الملائكة ﴾

الم
لائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق
اختلافا يكون بين الانواع (مثال ذلك) القدرة فانها مخالفة
للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفان للون واللون والقدرة
والعلم اعراض قائمة بغيرها فكذلك بين الملك والشيطان والجن
اختلاف ومع ذلك فكل واحد جوهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف
بين الجن والملك فلا يدرى أهو اختلاف بين النوعين كالاختلاف
بين الفرس والانسان أو الاختلاف فى الاعراض كالاختلاف بين
الانسان الناقص والكامل وكذا الاختلاف بين الملك والشيطان
هو ان يكون النوع واحدا والاختلاف واقعا فى العوارض
كالاختلاف بين الخير والشرير والاختلاف بين النبى والولى
والظاهر ان اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى وهذه الجواهر
المذكورة لا تنقسم اعنى ان محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم
لان العلم الواحد لا يحل الا فى محل واحد وحقيقة الانسان كذلك
فالعلم والجهل بشئ واحد فى محل واحد متضادان وفى محلين غير
متضادين واما ان هذا الجوهر غير منقسم وهل هو متحيز أم لا فهذا
الكلام عائد الى معرفة الجزء الذى لا يتجزأ فان استحال الجزء
الذى لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز وان لم يستحل الجزء
الذى لا يتجزأ فيمكن ان يكون هذا الجوهر متحيزا وقد قال قوم
لا يجوز ان يكون غير منقسم ولا متحيز فان الله تعالى غير منقسم
لا متحيز فالذى يفصل هذا من ذلك وهذا غير مبرهن عليه لانه ربما

تباينا في حقيقة الذات وان سلب عنهما الانقسام والتحيز والام
المكانية وثلاث سلوب والاشتمار بالحقائق لان ماسلب عن الحقائ
كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد فان احتاب
احتياجهما الى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما فكذا
سلب الاحتياج الى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشيئين ويمكن
ان تشاهد هذه الجواهر أعني جواهر الملائكة وان كانت غ
محسوسة وهذه المشاهدة على ضربين اما على سبيل التمثل كقول
تعالى فتمثل لها بشراسويا وكما كان النبي عليه الصلاة والسلام ير
جبريل في صورة دحية الكلبي والقسم الثاني ان يكون لبعض
الملائكة بدن محسوس كما ان نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسو
هو محل تصرفها وعالمها الخاص بها فكذلك بعض الملائكة وربما
كان هذا البدن المحسوس موقوفا على اشراق نور النبوة كما
محسوسات عالمنا هذا موقوف عند الادراك على اشراق نور الشمس
وكذا في الجن والشياطين

﴿ فصل ﴾ وقوع مزاج قريب من مزاج آخر غير مستحيل فنسبة نفس
مزاج واحد هو قريب الى مزاج آخر الى نفس ذلك المزاج نسبة مقار
فان كان لانسان مزاج خاص وله نفس خاصة ثم مات صاحب ذلك المز
وحدث بعده مزاج آخر قريب منه وذلك عند الادوار والتشكلا
الفلكية مثال ذلك حدث مزاج وتشكل الفلك على هيأة مخصوص
ثم عادت تلك التشكلات بأسرها وما يمكن لها وان لم يكن بالنس
المخصوصة الى مبدا واحد فحدث مزاج آخر استحق المزاج الحادث نفس

اخرى

أخرى لتلك النفس مع النفس المفارقة التى كانت للمزاج المناسب له مناسبة ما فلا تتعلق النفس المفارقة بهذه المزاج تعلقا كليا لاستحالة تصرف النفسين فى بدن واحد فتتعلق بذلك المزاج تعلقا دون تعلق تلك النفس الحادثة معه فتزداد خيرا ان كانت خيرة وشرا ان كانت شريرة ولذلك يقال لكل انسان جنى يشاكله ويعاونه أو شيطان يقويه ويضله وان حدث مزاجان فى زمان واحد فى بدنين وفى مكانين وحدثت لهما نفسان كانتا تربين فى الابدان بان وفى النفوس ترباذ وكل من تكون مناسبة الارواح المفارقة لروحه أكثر حدث به من تلك الاتصالات أنواع من الاخلاق يكون عرافا كاهنا أو صاحب تنجيم أو غير ذلك وربما كانت القوة الوهمية بعد المفارقة بحيث يصيرلها العالم المحسوس بدنا ولا تتعداه الى العالم الاعلى فتطالع الاسباب الجزئية فى هذا العالم فتستفيد النفس البدنية المتصلة بها معرفة ما والشرير منها فى غاية الشر لانها خرجت عن المادة فالشرير شيطان والخير من الطبقة الناقصة جن وللجن والشياطين علائق يتمسك بها البشر وأفعال روحانية هى مولدات لافعال طبيعية والخلاص عن المادة دليل كمال القوة سواء كانت تلك القوة قوة رداءة أو قوة خير وأما القاعد عن اليمين والشمال فقالوا فيهما ما قالوا والحق ان هذا أمر انما يعرفه الانبياء المرسلون عليهم السلام وملائكة السموات المدبرون المتصرفون فى اجرام السموات لا يعلم أعداد تلك الاجرام الا الله تعالى كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وملك الموت هو الملك الذى بأمره الله تعالى بقبض الارواح

متضمنا تفريق المزاج الذى استحق قبول تلك النفس مثاله مثال ه
المزاج بالنفخ والنفخ قسمان نفخ يوقد كما قال تعالى فنفخنا فيه
روحنا ونفخ يطفئ كما قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السمو
ومن فى الارض وقال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون

﴿الركن الثالث فى المعجزات وأحوال الانبياء عليهم السلام﴾

تسبيح الحصا وقلب العصا حية تسعى وكلام البهائم وكلام الشاة ا
قالت للنبى عليه الصلاة والسلام حين سمتها اليهودية لا تأكل
فانى مسمومة وأمثال ذلك على ثلاثة أقسام القسم الاول الح
والثانى الخيالى والثالث العقلى (القسم الاول) الحسى وهو أن يخ
الله العلم والحياة والقدرة فى الحصا حتى يتكلم وفى البهيمة ال
والقدرة والنطق وذلك ليس بمحال فان الله تعالى قادر على
يخلق فى البذر روح حياة وقدرة وسمعا ويخلق منه عقربا ويخ
من نوى النبق كذلك ويخلق من لحوم البقر النحل ومن النط
الانسان وسائر الحيوانات من موادها فهو قادر على أن يخلق بالح
نفس مقدسة نبوية فى الحصاة حياة وقدرة ومن شاهد خلق ال
القضاضة من شعر امرأة ويحس ذلك ولا يتعجب من قلب الشعر
فكيف يتعجب من قلب العصا حية والخشب كان ذا نفس نامية نبا
والشعر لم يكن قط ذا نفس والاجسام متماثلة فكما جاز ذلك فى اج
النسانس جاز ذلك فى سائر الاجسام وان كان الجسم الانسانى ب
اعتدال المزاج قابلا لهذه الاشياء فكل جسم مستعد لقبول المز
المعتدل وان كان الاعتدال موقوفا على الحرارة والرطوبة فليس ب

ان

فان يكون كل جسم قابلا للحرارة والرطوبة و يكون دعاء النبي وهمته مؤثران في كينونة هذه الاشياء من غير مهلة ومدة وان جرت العادة بان يخلق الله تعالى مثل هذه الاشياء في مدة وبذلك يظهر شرف الانبياء وخرق العادة ليس بمحال مثال ذلك الشمس والنار فان ما يحصل من تأثير الشمس في النباتات وغيرها انما يحصل بمدة على سبيل التدريج وما يحصل من اسخان النار يكون دفعة فلم استحال ان يكون تأثير مراد الانبياء على وجه تكون نسبته نسبة اسخان النار الى اسخان الشمس (القسم الثاني) العقلي وهو قول الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو شهادة كل مخلوق وحدث على خالقه بوجوده كشهادة البناء على الباني والكتابة على الكاتب ويقال لذلك لسان الحال والمتكلمون يقولون هذه دلالة الدليل على المدلول والحمقى من الناس لا يعرفون هذه الرتبة ولا يقرون بها (القسم الثالث) الخيالي ان لسان الحال يصير مشاهدا محسوسا على سبيل التمثل وهذه خاصية الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما ان لسان الحال يتمثل في المنام لغير الانبياء ويسمعون صوتا وكلاما كمن يرى في منامه رجلا يكلمه او فرسا يخاطبه او ميتا يعطيه شيئا او يأخذ منه او يسلب منه شيئا او تصير اصبعه شمعا او قمرا او يصير ظفره اسدا او غير ذلك مما يراه النائم في منامه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام يرون ذلك في اليقظة وتخاطبهم هذه الاشياء في اليقظة فان المتيقظ لا يميز بين ان يكون ذلك نطقا خياليا او نطقا حسيا من خارج والنائم انما يعرف ذلك بسبب انتباهه والتفرقة بين النوم واليقظة ومن

كانت له ولاية تامة تفيض تلك الولاية اشعتها على خيالات الحاضر حتى انهم يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه والتمثل الخيالي أشهر الاقسام والايمان بهذه الاقسام كلها واجبها واجب

﴿ فصل ﴾ وأما شفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الالهية على جوهر النبوة وينتشر منها الى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومثاله نور الشمس اذا وقع على الماء فانه ينعكس منه الى موضع مخصوص من الحائط لا الى جميع المواضع وانما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين الماء في الوضع وتلك المناسبة مساوية لسائر اجزاء الحائط وذلك الموضع هو الذي اذا خرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية الى الارض مساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس بحيث لا يكون أوسع منه ولا اضيق مثال ذلك لا يح وهذا لا يمكن الا في موضع مخصوص من الجدار فكما ان المناسبات الوضعية تقتضي الاختصاص بانعكاس النور فالمناسبات المعنوية العقلية أيضا تقتضي ذلك في الجواهر المعنوية ومن استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الالهية فاشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولت عليه السنن والاقتداء بالرسول ومحبة اتباعه ولم ترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية فستحكم مناسبته الا مع الواسطة فافتقر الى واسطة في اقتباس النور فهو مفتقر كالحائط الذي ليس مكشوفا للشمس الى واسطة الماء المكشوف

للشمس

الشمس والى مثل هذا ترجع حقيقة الشفاعة فى الدنيا فالوزير
المكن فى قلب الملك المخصوص بالعناية قد يعفو الملك عن هفوات
أصحاب الوزير ويعفو عنهم لا لمناسبة بين الملك وأصحاب الوزير
لكن لانهم يناسبون الوزير المناسب للملك ففاضت العناية عليهم
بواسطة الوزير لا بأنفسهم ولو ارتفعت الواسطة لم تشملهم العناية
الا لان الملك لا يعرف أصحاب الوزير واختصاصهم به الا بتعريف
الوزير واظهاره الرغبة فى العفو عنهم فيسمى لفظه فى التعريف
واظهار الرغبة شفاعة على سبيل المجاز وانما الشفيع مكانته عند
الملك وانما اللفظ لاظهار الغرض والله مستغن عن التعريف ولو عرف
الملك حقيقة اختصاصه بالوزير لاستغنى عن اللفظ وحصل العفو
بشفاعة لا نطق فيها ولا كلام والله تعالى عالم به فلو اذن للانبياء عليهم
الصلاة والسلام فى التلفظ بما هو معلوم عند الله تعالى لكانت الفاظهم
الفاظ الشفعاء واذا اراد الله تعالى ان يمثل حقيقة الشفاعة بمثال يدخل
فى الحس والخيال لم يكن ذلك التمثيل الا بالفاظ مألوفة بالشفاعة ويدل
على ذلك انعكاس النور بطريق المناسبة وان جميع ما ورد فى الاخبار
من استحقاق الشفاعة متعلق بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام
من صلاة عليه أو زيارة لقبره أو جواب المؤذن والدعاء له عقيبه وغير
ذلك مما يحكم علاقة المودة والمحبة والمناسبة معه

{ الركن الرابع فى أحوال ما بعد الموت }

{ فصل } فى عذاب القبر النفس اذا فارقت البدن حملت القوة
الوهمية معها كما ذكرناها وتجرد عن البدن منزهة ليس يصحبها شئ

من الهيئات البدنية وهى عند الموت عالمة بمفارقتها عن البدن وعن دار الدنيا متوهمة نفسها الانسان المقبور الذى مات وعلى صورته كان فى الدنيا يتخيل ويتوهم وتتخيل بدنها مقبورا وتتخيل الآلام الواصلة اليها على سبيل العقوبات الحسية على ماوردت به الشرائع الصادقة فهذا عذاب القبر وان كانت سعيدة تتخيله على صورة ملائمة على وفق كانت تعتقده من الجنات والانهار والحدائق والغلمان والولدان والحور العين والكاس من المعين فهذا ثواب القبر فلذا قال النبى عليه الصلاة والسلام القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فالقبر الحقيقى هذه الهيئات وعذاب القبر وثوابه ماذكرناهما والنشأة الاخرى خروج النفس عن غبار هذه الهيئات كما يخرج الجنين من القرار المكين كما قال تعالى قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وقوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون دليل ظاهر ومثال بين لهذه النشأة

﴿ فصل ﴾ قول النبى صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته الفاء ههنا للتعقيب يعنى قامت قيامة الميت عقيب موته مثال ذلك من سرق نصابا كاملا من حرز فقد استحق قطع يده وهذا عقاب لا يتأخر من هذا الفعل وقال تعالى أيضا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله والقيامة الكبرى ميعادها عند الله تعالى لا يعلم وقتها الا هو وعلمها عند الله والاوقات والازمنة وان كان فيها تشابه فلكل واحد منها خواص ببعض أنواع الوجود وبه

ذلك

ذلك فى أوقات الحرث والنسل وغيرهما وعند المتكلمين يرجع ذلك الى مشيئة الله تعالى فانه تعالى يخصص وقتا يوجد فيه موجودا بارادته ومشيئته مع ان الاوقات متشابهة بالاضافة الى القدرة والى ذات القديم سبحانه وتعالى والفلاسفة يقولون ان مبادى الحوادث حركات الافلاك وان ادوارها مختلفة وكل شكل من تشكلاته مباين غيره من التشكلات مقرر ذلك فى براهين اقليدس اذ كل تشكل وكل عود من تلك التشكلات لا تعود بعينها وبذلك يبطلون دعوى المنجمين فى التجربة لكل عود وتشكل من تشكلات الفلك فيجوز ان يتجدد دور مباين لسائر الادوار تحدث فيه حيوانات غريبة الشكل لم ير مثلها قبلها قط واذا القينا حجرا فى الماء يحدث فيه شكل مستدير تكون استدارة هذا الشكل مناسبة لعمقه وكلما ازداد عمقه ازدادت تلك الدائرة فاذا القينا حجرا آخر قبل تمام هذه الدائرة لم يلزم ان تكون حركة الماء فى النوبة الثانية كحركته فى النوبة الاولى لان الماء فى الاولى ساكن وفى الاخرى متحرك فان تشكيل الحجر للمتحرك خلاف تشكيله للساكن فتختلف الاشكال مع تساوى الاسباب لامتزاج أثر السابق باللاحق وهب ان تشكل المتحرك وافق شكلا آخر فكيف يكون مقومات الثوابت والاوجات وسائر الجوزهرات على مثل ما كان عليه فى التشكل الاول فلا يستحيل ان يكون فى التقدير الازلى للادوار دور يخالف هذه الادوار يقتضى نمطا من نظام الوجود والابداع على خلاف النمط المعهود ولا يستحيل ان يكون ذلك النمط

بديع عالم يسبق له نظير ولا ان يكون حكمه باقيا الا يلحقه مثل الدور السابق المنسوخ فيبقى النمط الحاصل من الابداع مستمرا في جنسه وان كانت تتبدل أحواله فيكون ميعاد القيامة الكبرى حصول ذلك التشكل الغريب من الاسباب العالية فيكون ذلك سببا كليا جامعا لجميع الارواح فيعم حكمها كافة الارواح فتكون قيامة عامة مخصوصة بوقت لا تتسع القوة البشرية لمعرفتها أعني لمعرفة وقتها ولا الانبياء المرسلون عليهم الصلاة والسلام فان الانبياء أيضا يكشف لهم ما يكشف بقدر احتمالهم وقبولهم فاذا لم يقم برهان كلامي ولا فلسفي على استحالته وجب التصديق به اذ ورد الشرع به تصريحا لا يتطرق اليه الاحتمال والتأويل وقد صرح الشرع به تصريحا ظاهرا وربما يجب الايمان به ولا يمكن تأويله وكما جاز ان يحدث دور بشكل يحدث فيه أنواع من الحيوانات لم يعهد مثلها فكذلك يجب ان يحدث زمان يحشر فيه الموتى وتجمع اجزاؤهم وتعود الى اشباحهم أرواحهم فكما ان الجاهل يتأمل فصل الشتاء ويتعجب ان يحصل فيه نبات وثمار اذا ورد فصل الربيع عاين ذلك وبين زماني الفصلين بعد في هذه الدار فكذلك بين زمان النشأة الاولى التي تحصل للانسان بالتناسل وزمان النشأة الاخرى التي تحصل للانسان بالاحياء والاعادة كون بعيد لا يقاس احدهما على الثاني

﴿ فصل ﴾ عود النفس الى البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة أمر ممكن غير مستحيل ولا ينبغي ان يتعجب منه بل التعجب من تعلق النفس

النفس بالبدن في أول الامر أظهر من تعجب عودها اليه بعد المفارقة وتأثير النفس في البدن تأثير فعل وتسخير ولا برهان على استحالة عود هذا وصيرورة هذا البدن مستعدا مرة أخرى لقبول تأثيره وتسخيره بقي ههنا تعجب من ضعفاء العقول وهو ان ذلك الاستعداد الانساني يحصل قليلا قليلا بالتدريج من نطفة في قرار مكين ثم من علقة الى تمام الخلقة واذا لم يكن كذلك لا يقبل استعداد قبول التسخير ودفع هذا التعجب انا قد بينا ان ما هو ممكن بالتدريج انما هو التوالد وأما التولد فلا يكون بالتدريج بل حدوثه ممكن دفعة واحدة الا ترى ان الفأر الذي يتوالد يكون بالتدريج وباجتماع الذكر والانثى وبعد حمل وسفاد وأن التولد منه يكون دفعة فانه لم يوجد قط مدر ولا تراب بعضه فأر وبعضه بالقوة قريب الى جسم الفأر وكذلك الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم توجد عفونة تغيرت عن حالها وصارت بالقوة قريبة الى ان تستحيل ذبابا من غير مهلة وتدريج والنشأة الثانية تولدية من تلك الاجزاء التي كانت في الاصل وان تفرقت وانخلعت صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك الصور الى موادها ويحصل المزاج الخاص مرة أخرى ولها نفس حدثت عند حدوث ذلك المزاج ابتداء فتعود بالتسخير والتصرف اليها مع العلاقة التي بينهما مثال ذلك راكب سفينة غرقت السفينة وتفرقت اجزاؤها وانتقل الراكب بالسباحة الى جزيرة ثم ردت تلك الاجزاء بعينها الى الهيئة الاولى وتوطدت وتوكدت عاد اليها راكب السفينة واجراها وتصرف فيها كما شاء ولا يجب ان

يتحقق هذا الحشر وجمع الاجزاء والمزاج الجسد نفسا أخرى فان
حدوث المزاج يستحق حدوث نفس له أما عود المزاج الى
الحالة الاولى فلا يستحق الا عود النفس الى الحالة الاولى وأما ظن
من ظن ان الاجزاء الارضية لا تفي بذلك فظن ووهم لا اعتبار بهما
فمن قاس الانسان والاجزاء الارضية التى فيه بأجزاء الارض وأى
مهندس استخرج بالمساحة ذلك الحد وأما الاختلاف الراجع الى
ذلك فى الكتب الالهية فى التوراة ان أهل الجنة يمكثون فى النعيم
خمسة عشر الف سنة ثم يصيرون ملائكة وان أهل النار كذا
أو أزيد ثم يصيرون شياطين وفى الانجيل ان الناس يحشرون
ملائكة لا يطعمون ولا ينامون ولا يشربون ولا يتوالدون وفى
القرآن ان الناس يحشرون كما خلقهم الله تعالى أول مرة
كما قال تعالى فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة وسؤال
ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى رب ارنى كيف تحيى الموتى
وقول عزير عليه السلام حكاية عنه أنى يحيى هذه الله بعد موتها
فأماته الله مائة عام ثم بعثه ومكث أصحاب الكهف وهو قوله تعالى
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الى قوله ليعلموا ان وعد الله حق دلائل
على ان هذه النشأة كائنة ممكنة يجب الايمان بها وكان فى قديم
الدهر فيها اختلاف الناس والانبياء عليهم السلام يثبتون تلك
بالبراهين والامثلة المحسوسة والتعجب من النشأة الاولى اكثر من
الاخرى الا ان النشأة الاولى محسوسة مشاهدة معتادة فسقط التعجب
قالوا ومعناه ان انسانا حرك نفسه فوق امرأة مرارا كما يحرك المخض

وخرج

وخرج من اجزائه شئ مثل زبد سيال فيحصل فى ذلك الشئ فى بعض اعضاء المرأة و يبقى مدة على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاما ثم تكسى العظام لحما ثم تحصل فيه الحركة ثم يخرج من موضع لم يعهد خروج شئ منه على حالة الاهلاك امه ولا يشق عليها فى ولادته ثم تفتح عيناه و يحصل فى ثدى الام شئ مثل شراب مائع لم يكن قبل ذلك فيها و يتغذى به الطفل الى ان يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات واستنباطات بل ربما هذا الشئ الذى أصله نطفة وهو عند الولادة اضعف خلق الله يصير عن قريب ملكا جبارا قهارا يملك أكثر العالم و يتصرف فيه فان التعجب من ذلك أكثر واوفر من التعجب من النشأة الاخرى والاصل ان كل شئ لم يشاهده الانسان ولم يعرف سببه يحصل له منه التعجب والتعجب هيئة تحصل للانسان عند مشاهدة شئ لم يشاهده قبل ذلك او سماع شئ لم يعرف سببه ولم يسمعه قبل ذلك

﴿ فصل ﴾ تعلق النفس بالبدن كالحجاب لها عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك ومما يكشف له تأثير اعماله مما يقربه الى الله تعالى و يبعده وهى مقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تأثيرا من البعض ولا يمتنع فى قدرة الله تعالى ان يجرى سببا يعرف الخلق فى لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تأثيراتها فى التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة من النقصان ومثاله فى العالم المحسوس مختلف فمنه الميزان المعروف ومنه القبان للاثقال والاسطرلاب لحركات الفلك

والاوقات والمسطرة للمقادير والخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فالميزان الحقيقي اذا مثله الله عز وجل للحواس مثله بما شاء من هذه الامثلة أو غيرها فحقيقة الميزان وحده موجود في جميع ذلك وهو ما يعرف به الزيادة من النقصان وصورته تكون مقدرة للحس عند التشكيل وللخيال عند التمثيل والله تعالى أعلم بما يقدره من صنوف التشكيلات والتصديق بجميع ذلك واجب

﴿ فصل ﴾ والحساب جمع متفرقات المقادير وتعريف مبلغها وما من انسان الا وله أعمال متفرقة نافعة وضارة ومقربة ومبعدة لا تعرف فذلكتها وقد لا تحصر آحاد متفرقاتها فاذا حصر من المتفرقات وجمع مبلغها كان حسابا فان كان في قدرة الله تعالى ان يكشف في لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبلغ آثارها فهو أسرع الحاسبين ومعلوم ان في قدرته ذلك فاذن هو أسرع الحاسبين قطعا وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب الله الخلق في لحظة من غير تشويش ولا غلط فقال رضي الله عنه كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط

﴿ فصل ﴾ الصراط حق وما قيل فيه انه مثل الشعرة في الدقة فهو ظالم في وصفه بل ادق من الشعر بل لا مناسبة بين دقته ودقة الشعر وحدته وحدة السيف كما لا مناسبة في الدقة بين الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من الظل ولا من الشمس وبين دقة الشعر ودقة الصراط مثل دقة الخط الهندسي الذي لا عرض له أصلا لانه على مثال الصراط المستقيم والصراط المستقيم

عبارة

عبارة عن الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة لذلك قد بين الله هذا الدعاء في سورة الفاتحة حيث قال اهدنا الصراط المستقيم وقال في حق المصطفى صلوات الله عليه وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال تعالى شأنه وانك لعلى خلق عظيم مثال ذلك السخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والاقتار والتواضع بين التكبر والدناءة والعفة بين الشهوة والجمود فهذه الاخلاق لها طرف افراط وطرف تقصير وهما مذمومان والوسط ليس من الافراط ولا من التقصير فهو على غاية البعد من كل طرف ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها مثال ذلك الوسط الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل ولا من الشمس والتحقيق في ذلك ان كمال الآدمي في المشابهة بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فكلفه الله تعالى بما يشبه الانفكاك وان لم يكن حقيقة الانفكاك وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد والعودي لا أبيض ولا أسود فالبخل والتبذير من صفات الانسان والمقتصد السخي كأنه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل له الى أحد الجانبين وهو ادق من الشعر فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة فلا تموت الا على المركز

لانه الوسط الذى هو غاية البعد من المحيط المحرق وتلك النقطة لا عرض لها فاذا الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين ولا عرض له فهو ادق من الشعر ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه فلاجرم يرد امثالنا النار بقدر ميله عنه كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فان العدل بين المراتين فى المحبة والوقوف على درجة متوسطة لا ميل فيه الى احداهما كيف يدخل تحت الامكان فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم الذى حكى الله تعالى حقيقته عن النبى صلى الله عليه وسلم وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه مر على صراط الآخرة مستويا من غير ميل لانه فى هذا العالم عود نفسه التحفظ عن الميل فصار ذلك وصفا طبيعيا له فان العادة طبيعة خامسة هذا حق قطعا كما ورد به الشرع وجاء فى الحديث عبر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف

﴿فصل﴾ اللذات المحسوسة الموجودة فى الجنان من أكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها وهى كما تقدم حسى وخيالى وعقلى أما الحسى فبعد رد الروح الى البدن كما ذكرناه وأما الكلام فى أن بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيها مثل اللبن والاستبرق والطلح المنضود والسدر المخضود فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك فى أعينهم ويشتهونه غاية الشهوة وفى كل صنف وكل أقاليم مطاعم ومشارب وملابس تختص بقوم دون قوم ولكل واحد فى الجنة ما يشتهيه كما قال

تعالى

تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون وربما يعظم الله تعالى في الآخرة شهوة لا تكون تلك الشهوة معظمة في دار الدنيا كالنظر الى ذات الله تعالى فان الشهوة والرغبة الصادقة فيها في الآخرة دون الدنيا وأما الخيالي فلا يخفى امكانه ولذته كما في النوم الا أنه مستحقر لانقطاعه عن قريب فلو كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالي والحسي لان التلذذ الانسان بالصور من حيث انطباعها في الخيال والحس لا من حيث وجودها من خارج فلو وجد من خارج ولم يوجد في حسه بالانطباع فلا لذة ولو بقي المنطبع في الحس وعدم الخارج لدامت اللذة وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم الا أن صورها المخترعة متخيلة وليست محسوسة ولا منطبعة في القوة الباصرة فلذلك لو اخترع صورة جميلة في غاية الجمال وتوهم حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذته لانه ليس يصيره مبصرا كما في النوم فلو كانت له قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته ونزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى الا من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة وكل ما يشتهيه يحضر عنده في الحال فتكون شهوته بسبب تخيله وتخيله بسبب ابصاره أي بسبب انطباعه في القوة الباصرة فلا يخطر ببالها شيء يميل اليه الا ويوجد في الحال أي يوجد بحيث يراه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام ان في الجنة سوقا تباع فيه الصور والسوق عبارة عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على

اختراع الصور بحسب المشيئة وانطباع القوة الباصرة بها انطباعا ثابتا الى دوام المشيئة لا انطباعا هو معرض للزوال من غير اختيار كما في النوم في هذا العالم وهذه القدرة أوسع وأكمل من القدرة على الايجاد خارج الحس لان الموجود من خارج الحس لا يوجد في مكانين واذا صار مشغولا باجتماع واحد ومشاهدته وممارسته صار مشغوفا به محجوبا عن غيره وأما هذا فيتسع اتساعا لا ضيق فيه ولا منع حتى اذا اشتهى مشاهدة الشيء مثلا ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم في أماكنهم المختلفة وأما الابصار الحاصل عن شخص الشيء الموجود من خارج الحس لا يكون الا في مكان واحد وجعل أمر الآخرة على ما هو أوسع وأتم للشهوات وأوفق بها أولى ولا نقص في قدرة الايجاد وأما الوجه الثالث وهو الوجود العقلي فأن تكون هذه المحسوسات امثلة للذات العقلية التي ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم الى أنواع كثيرة مختلفة اللذات كالحسيات فتكون الحسيات امثلة لها وكل واحد يكون مثالا للذة أخرى مما رتبته في العقليات توازي رتبة المثال في الحسيات فانه لو رأى في المنام الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن والانهار المطردة باللبن والعسل والخمر والاشجار المزينة بالجواهر واليواقيت واللآلى والقصور المبنية من الذهب والفضة والسرر المرصعة بالجواهر والغلمان المماثلين بين يديه للخدمة لكان المعبر يفسر ذلك بالسرور ولا يحمله على نوع واحد بل يحمل كل واحد على نوع آخر من انواع

انواع السرور وقرة العين يرجع بعضه الى سرور العلم وكشف المعلومات وبعضه الى سرور المملكة ونفاذ الامر وبعضه الى قهر الاعداء وبعضه الى مشاهدة الاصدقاء وان شمل الجميع اسم اللذة والسرور فهى مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغى ان تفهم كذلك وان كان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فجميع هذه الاقسام ممكنة فيجوز ان يجمع بين الكل لواحد ويجوز ان يكون نصيب كل واحد بقدر استعداده فالمشغوف بالتقليد والجمود على الصور الذى لم تنفتح له طرق الحقائق تمثل له هذه الصور واللذات والعارفون المستصغرون لعالم الصور واللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور واللذات العقلية ما يليق بهم ويشفى شرههم وشهوتهم اذ حد الجنة ان فيها لكل امرئ ما يشتهيه واذا اختلفت الشهوات لم يبعد ان تختلف العطيات واللذات والقدرة واسعة والقوة البشرية عن الاحاطة بعجائب القدرة قاصرة والرحمة الالهية القت بواسطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذى احتملته افهامهم فيجب التصديق بما فهموه والاقرار بما وراءه منتهى الفهم من أمور تليق بالكرم الالهى ولا تدرك بالفهوم البشرى وانما يدرك ذلك فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

﴿ فصل ﴾ أما التقرب لمشاهد الانبياء والائمة عليهم الصلاة والسلام فان المقصود منه الزيارة والاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الانبياء والائمة عليهم السلام والعبارة عن

هـذا الامداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والامداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم فى هذين الركنين أما الاستمداد فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة فى ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبهل وحذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها ومن أقبل فى الدنيا بهمته وكليته على انسان فى دار الدنيا فان ذلك الانسان يحس باقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك فمن لم يكن فى هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهيأ لذلك التنبيه فان اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم الى بعض أحوال العالم ممكن كما يطلع فى المنام على أحوال من هو فى الآخرة أهو مثاب أو معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين فى حالة اليقظة لها فكذلك من وصل الى الدار الآخرة ومات موتا حقيقيا كان بالاطلاع على هذا العالم أولى وأحرى فأما كلية أحوال هذا العالم فى جميع الاوقات لم تكن مندرجة فى سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة فى معرفتنا فى منامنا عند الرؤيا ولآحاد المعارف معينات ومخصصات منها همة صاحب الحاجة وهى استيلاء صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحى فى حضور ذكره وخطوره نفسه بالبال فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التى هى حجاب قالبه فان أثر ذلك الميت

الميت في النفس عند غيبة قالبه ومشهده ليس كاثره في حال حضوره ومشاهدة قالبه ومشهده ومن ظن انه قادر على ان يحضر في نفس ذلك الميت عند غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظن خطأ فان للمشاهدة أثرا بينا ليس للغيبة مثله ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضا جزافا ولا تخلو من أثر ما كما قال النبي عليه الصلاة والسلام من صلى على مرة صليت عليه عشرا (ومن أجاب المؤذن حلت له شفاعتي) ومن زار قبري حلت له شفاعتي فالتقرب بقالبه الذي هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل والتقرب بمشهده ومسجده وبلدته وعصاه وسوطه ونعله وعضادته والتقرب بعادته وسيرته والتقرب بكل ماله منها مناسبة اليه تقرب موجب للقرب اليه مقتض لشفاعته فانه لا فرق عند الانبياء في كونهم في دار الدنيا وفي كونهم في دار الآخرة الا في طريق المعرفة فان آلة المعرفة في الدنيا الحواس الظاهرة وفي العقبى آلة يعرف بها الغيب اما في كسوة مثال واما على سبيل التصريح وأما الاحوال الأخر في التقرب والقرب والشفاعة فلا تتغير والركن الاعظم في هذا الباب الامداد والاهتمام من جهة المدد وان لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد فانه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان في دار انسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار وأهلها وتلك البلدة وسكانها ببركاتها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار

وساكن البلدة فان اهتمام النبي صلى الله عليه وهو في العقبى مصروف الى ما هو به منسوب ودفع المكاره والامراض والعقوبات مفوضة من جهة الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمته اليه عن غيره كما كان في حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربهم به في حال حياته وقد حكي ان ابا طاهر الهجري القرمطي رفع انسانا على عنقه حتى يجر ميزاب الكعبة فمات الانسان على عاتقه وخر هو ميتا وان جماعة من المصريين نقبوا في جوار روضة النبي صلى الله عليه وسلم وقصدوا اخراج شخصه ونقله الى مصر كان ذلك في نصف الليل فسمع أهل المدينة صوتا من الهواء احفظوا نبيكم معاشر المسلمين احفظوا نبيكم فأوقدوا السراج بل أوقدوا السرج والشموع والمشاعل ورأوا ذلك النقب في الجدار وحوله جماعة من المصريين موتى ونقل أنه صلى الله عليه وسلم غرس غصنا رطبا في قبر انسان وقال رفع الله تعالى عن صاحبه العذاب مادام هذا الغصن رطبا وذلك من بركات يديه صلى الله عليه وسلم وكل من أطاع سلطانا وعظمه فاذا دخل بلده ورأى فيها سهما من جهة ذلك السلطان أو سوطا له فانه يعظم تلك البلدة فالملائكة عليهم السلام يعظمون النبي فاذا رأوا ذخائره في دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه وخففوا عليه العذاب ولذلك السبب ينفع الموتى أن توضع على قبورهم المصاحف ويتلى القرآن على رؤوس قبورهم ويكتب القرآن على قراطيس وتوضع القراطيس في أيدي الموتى فهذه أنواع المناسبات

على حسب حال من يريد أن يسوى كل مصنوع ومشروع على قضية معقولة والاصل فى ذلك ان وراء ما يتصوره العقلاء أمورا ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها الا الله تعالى والانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده وان اجتمع الخلائق وتفكروا فى الشكل الموضوع على مناسبة الاعداد لمهولة الولادة حالة الطلق ما عرفوا تلك الخاصية فكيف يطمع الانسان ان يعرف حقائق ما ورد به الشرع من الاوامر والنواهى والاخبار والوعد والوعيد وغير ذلك والعقل ضعيف وتصرفه مختصر بالاضافة الى تلك العجائب والخواص (قد قررت) يا أخى طيب الله عيشك بعض ما يمكن التلويح اليه على وفق ما انتهت فطانتى اليه وأوصيك ومن معك بالايمان بهذه الاشياء التى ورد الشرع بتصحيحها دون التوقف فيها ونعوذ بالله من التوقف وسأهدى اليك من بعد ان وفقنى الله تعالى علقا مضنونا آخر اسمه المضنون به على أهله أحق وأولى من هذا المصنف فان فى هذا مسائل قررتها فى عدة مواضع ومسائل لم أقررها الا فى ذلك المصنف أما المضنون الموجود فقد كان عزيمتى على تقرير أشياء فيه لم اقررها فى شئ من كتبى اليوم الا فى احياء العلوم فان فيه تلويحات واشارات الى رموز لا يعرفها الا أهلها والله المعين الهادى وهو حسبنا واليه المرجع والمصير

بحمد الواحد المنان والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان قد تم طبع هذا السفر الجليل والانموذج الذى لا يعادله مثيل محتويا على نفائس المسائل وصائغها ما يجب أن يتحلى به المحلى والعاطل لامام الائمة وقدوة

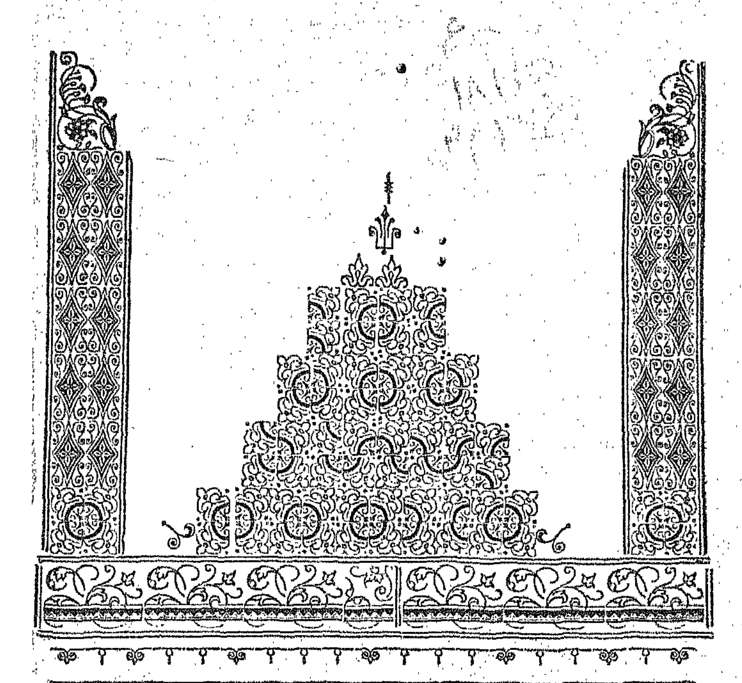
الامة مالك أزمة المفاخر والمعالي الحبر الالمعي أبو حامد الغزالي سقى
الله ضريحه أغدق الرحمات وبوأه في الجنة أرفع الدرجات مصححا
على يد أفقر العباد الى الله عبده مصطفى محمد قشيشة مقابلا على
نسختين حسب الامكان وكان ذلك بالمطبعة الاعلامية
لازالت تحرز من قصبات القبول كل أمنية
ووافق تمام طبعه العشرين من
شهر شعبان المكرم الذى
هو من شهور سنة ثلاث
وثلثمائة والف من
هجرة من خلقه
الله على أكمل
وصف



كتاب المضنون الصغير وهو الموسوم بالاجوبة
الغزالية فى المسائل الاخروية للامام
الاجل الزاهد حجة الاسلام أبو
حامد محمد بن محمد الغزالى
قدس الله روحه
ونور ضريحه
امين

طبع فى المطبعة الاعلامية


بمصر سنة ١٣٠٣



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سئل) الشيخ الامام الاجل الزاهد السيد حجة الاسلام زين الدين مقتدى الامة قدوة الفريقين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى قدس الله روحه ونور ضريحه عن معنى قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ما التسوية وما النفخ وما الروح (فقال) التسوية فعل فى المحل القابل للروح وهو الطين فى حق آدم عليه السلام والنطفة فى حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج فانه كما لا يقبل النار يابس محض كالتراب والحجر ولا رطب محض كالماء

بل

بل لا تتعلق النار الا بمركب أى من يابس ورطب ولا كل مركب فان الطين مركب ولا تشتعل فيه النار بل لا بد بعد تركيب الطين الكثيف من تردد فى اطوار الخلقة حتى يصير نباتا لطيفا فتنبت فيه النار وتشتعل فيه وكذلك الطين بعد ان ينشئه الله خلقا بعد خلق فى اطوار متعاقبة يصير نباتا فيأكله الآدمى فيصير دما فتنزع القوة المركبة فى كل حيوان صفوة الدم الذى هو أقرب الى الاعتدال فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بمائها فى المرأة فتزداد عند ذلك اعتدالا ثم ينضجها الرحم بحرارته فتزداد تناسبا حتى تنتهى فى الصفاء واستواء نسبة الاجزاء الى الغاية فتستعد لقبول الروح وامساكها كالفتيلة التى تستعد عند شرب الدهن لقبول النار وامساكها فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق باستعدادها روحا يدبرها ويتصرف فيها فتفيض اليها الروح من جود الجواد الحق الواهب لكل مستحق ما يستحقه ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله من غير منع ولا بخل فالتسوية عبارة عن هذه الافعال المردودة لاصل النطفة فى الاطوار السالكة بها الى صفة الاستواء والاعتدال

﴿ فصل ﴾ وسئل ما النفخ (فقال) النفخ عبارة عن ما اشعل نور الروح فى فتيلة النطفة وللنفخ صورة ونتيجة أما صورته فاخراج الهواء من جوف النافخ الى جوف المنفوخ فيه حتى يشتعل الحطب القابل للنار فالنفخ سبب الاشتعال وصورة النفخ الذى هو سبب فى حق الله تعالى محال والمسبب غير محال وقد يكنى بالسبب عن

الفعل الذى يحصل السبب عنه على سبيل المجاز وان لم يكن الفعل المستعار له على صورة الفعل المستعار منه كقوله تعالى غضب الله عليهم فانتقمنا منهم والغضب عبارة عن نوع تغير فى الغضبان يتأذى به ونتيجته اهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام وكذلك عبر عن ما ينتج نتيجة النفخ بالنفخ وان لم يكن على صورة النفخ (فقيل) له فما السبب الذى اشتعل به نور الروح فى فتيلة النطفة (قال) هو صفة فى الفاعل وصفة فى المحل القابل أما صفة الفاعل فالجود الالهى الذى هو ينبوع الوجود على ماله قبول الوجود فهو فياض بذاته على كل حقيقة أوجدها ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما فالقابل للاستنارة هى الملونات دون الهواء الذى لا لون له وأما صفة القابل فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية كما قال سويته ومثاله صقالة الحديد فان المرآة التى ستر الصدأ وجهها لا تقبل الصورة وان كانت محاذية للصورة فلو حاذتها الصورة واشتغل الصقيل بتصقيلها فكلما حصل الصقال حدثت فيها الصورة المحاذية من ذى الصورة المحاذية فكذلك اذا حصل الاستواء فى النطفة حدث فيها الروح من خالق الروح من غير تغير فى الخالق بل انما حدث الروح الآن لا قبله لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله كما ان الصورة فاضت من ذى الصورة على المرآة فى حكم الوهم من غير تغير حدث فى الصورة ولكن كان لا يحصل من قبل لا لان

الصورة

الصورة ليست مهيأة لان تنطبع في المرآة لكن لان المرآة لم تكن صقيلة قابلة للصورة (فقيل) له فما الفيض (فقال) لا ينبغي ان تفهم من الفيض هنا ما تفهم من فيضان الماء من الاناء على اليد فان ذلك عبارة عن انفصال جزء من الماء عن الاناء واتصاله باليد بل افهم منه ما تفهمه من فيضان نور الشمس على الحائط ولقد غلط قوم في نور الشمس أيضا فظنوا انه ينفصل شعاع من جرم الشمس ويتصل بالحائط وينبسط عليه وهو خطأ بل نور الشمس سبب لحدوث شيء يناسبه في النورية وان كان اضعف منه في الحائط المتلون كفيضان الصورة على المرآة من ذي الصورة فانه ليس بمعنى انفصال جزء من صورة الانسان واتصاله بالمرآة بل على معنى ان صورة الانسان مثلا سبب لحدوث صورة تماثلها في المرآة القابلة للصورة وليس فيهما اتصال وانفصال الا السببية المجردة وكذلك الجود الالهي سبب لحدوث نور الوجود في كل ماهية قابلة للوجود فيعبر عنه بالفيض

﴿ فصل ﴾ قيل له قد ذكرت التسوية والنفخ فما الروح وما حقيقته وهل هو حال في البدن حلول الماء في الاناء أو حلول العرض في الجوهر أم هو جوهر قائم بنفسه فان كان جوهرا قائما بنفسه فمتحيز هو أم غير متحيز وان كان متحيزا فما مكانه أهو القلب أو الدماغ أو موضع آخر وان لم يكن متحيزا فكيف يكون جوهرا غير متحيز (فقال) هذا سؤال عن سر الروح الذي لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كشفه لمن ليس أهلا له فان

كنت من أهله فاسمع واعلم ان الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى الاناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول السواد فى الاسود والعلم فى العالم بل هو جوهر وليس بعرض لانه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم أعراض ولو كان موضوعا والعلم قائم به لكان قيام العرض بالعرض وهذا خلاف المعقول ولان العرض الواحد لا يفيد الا واحدا فيما قام به والروح يفيد حكمين متغايرين فانه حين ما يعرف خالقه يعرف نفسه فدل على ان الروح ليس بعرض والعرض لا يتصف بهذه الصفات ولا هو جسم لان الجسم قابل للقسمة والروح لا ينقسم لانه لو انقسم لجاز ان يقوم بجزء منه علم بالشئ الواحد وبالجزء الآخر منه جهل بذلك الشئ الواحد بعينه فيكون فى حالة واحدة عالما بالشئ جاهلا به فيتناقض لانه فى محل واحد والا فالسواد والبياض فى جزئين من العين غير متناقض والعلم والجهل بشئ واحد فى شخص واحد محال وفى شخصين غير محال فدل على انه واحد وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ أى شئ لا ينقسم اذ لفظ جزء غير لائق به لان الجزء اضافة الى الكل ولا كل هنا فلا جزء الا ان يراد به ما يريد القائل بقوله الواحد جزء من العشرة فانك اذا أخذت جميع الاجزاء التى بها قوام العشرة فى كونها عشرة كان الواحد من جملتها وكذلك اذا أخذت جميع الموجودات أو جميع ما به قوام الانسان فى كونه انسانا كان الروح واحدا من جملتها فاذا فهمت انه شئ لا ينقسم فلا يخلو اما ان يكون متحيزا أو غير متحيز وباطل ان يكون متحيزا اذ كل

متحيز

متحيز منقسم والجزء الذى لا يتجزء باطل ان يكون منقسما بادلة هندسية وعقلية اقربها انه لوفرض جوهر بين جوهرين لكان كل واحد من الطرفين يلقى من الوسط غير ما يلقى الآخر فيجوز ان يقوم بالوجه الذى يلقاه هذا الطرف علم وبالوجه الآخر جهل فيكون عالما جاهلا فى حالة واحدة بشئ واحد وكيف لا ولو فرض بسيط مسطح من أجزاء لا تتجزأ لكان الوجه الذى يحاذينا ونراه غير الوجه الآخر الذى لا نراه فان الواحد لا يكون مرئيا وغير مرئى فى حالة واحدة ولكانت الشمس اذا حاذت أحد وجهيه استنار بها ذلك الوجه دون الوجه الآخر فاذا ثبت انه لا ينقسم وانه لا يتجزأ ثبت انه قائم بنفسه وغير متحيز أصلا

﴿ فصل ﴾ قيل له وما حقيقة هذه الحقيقة وماصفة هذا الجوهر وما وجه تعلقه بالبدن أهو داخل فيه أو خارج عنه أو متصل به أو منفصل عنه (قال) رضى الله عنه لا هو داخل ولا هو خارج ولا هو منفصل ولا متصل لان مصحح الاتصاف بالاتصال والانفصال الجسمية والتحيز وقد انتفيا عنه فانفك عن الضدين كما ان الجماد لا هو عالم ولا هو جاهل لان مصحح العلم والجهل الحياة فاذا انتفت انتفى الضدان (فقيل له) هل هو فى جهة (فقال) هو منزه عن الحلول فى المحال والاتصال بالاجسام والاختصاص بالجهات فان كل ذلك صفات الاجسام واعراضها والروح ليس بجسم ولا عرض فى جسم بل هو مقدس عن هذه العوارض (فقيل له) لم منع الرسول عليه السلام عن افشاء هذا السر وكشف حقيقة الروح بقوله تعالى قل الروح من أمر ربى

(فقال) لان الافهام لاتحتمله لان الناس قسمان عوام وخواص
أما من غلب على طبعه العامية فهذا لايقبله ولا يصدقه في صفات
الله تعالى فكيف يصدقه في حق الروح الانسانية ولهذا انكرت
الكرامية والحنبلية ومن كانت العامية غالبة عليه ذلك
وجعلوا الاله جسما اذلم يعقلوا موجودا الا جسما مشارا اليه
ومن ترقى عن العامية قليلا نفى الجسمية وما أطاق ان ينفي عوارض
الجسمية فاثبت الجهة وقد ترقى عن هذه العامية الاشعرية
والمعتزلة فاثبتوا موجودا لا في جهة (فقيل له) ولم لا يجوز كشف
هذا السر مع هؤلاء (فقال) لانهم أحالوا ان تكون هذه الصفات
لغير الله تعالى فاذا ذكرت هذا لبعضهم كفروك وقالوا انك تصف
نفسك بما هو صفة الاله على الخصوص فكانك تدعي
الالهية لنفسك (فقيل له) فلم أحالوا ان تكون هذه الصفة لله ولغير
الله تعالى أيضا (فقال) لانهم قالوا كما يستحيل في ذوات المكان
أن يجتمع اثنان في مكان واحد يستحيل أيضا ان يجتمع اثنان لا في
مكان لانه انما استحال اجتماع جسمين في مكان واحد لانه لو اجتمعا
لم يتميز احدهما عن الآخر فكذلك لو وجد اثنان كل واحد
منهما ليس في مكان فلم يحصل التمييز والعرفان ولهذا أيضا قالوا
لا يجتمع سوادان في محل واحد حتى قيل المثلان يتضادان فقيل هذا
اشكال قوي فما جوابه (قال) جوابه انهم اخطأوا حيث ظنوا ان
التمييز لا يحصل الا بالمكان بل يحصل التمييز بثلاثة أمور أحدها
بالمكان كجسمين في مكانين والثاني بالزمان كسوادين في جوهر
واحد

واحد في زمانين والثالث بالحد والحقيقة كالاعراض المختلفة في محل واحد مثل اللون والطعم والبرودة والرطوبة في جسم واحد فان المحل لها واحد والزمان واحد ولكن هذه معان مختلفة الذوات محدودها وحقائقها فيتميز اللون عن الطعم بذاته لا بمكان وزمان ويتميز العلم عن القدرة والارادة بذاته وان كان الجميع شيأ واحدا فاذا تصور اعراض مختلفة الحقائق فبأن يتصور أشياء مختلفة الحقائق بذواتها في غيره كان أولى

﴿ فصل ﴾ فقيل هذا دليل آخر على استحالة ما ذكرتموه واظهر من طلب التفرقة وهو ان هذا تشبيه واثبات لاخص وصف الله تعالى في حق الروح (فقال) هيهات فان قولنا الانسان حي عالم قادر سميع بصير متكلم وانه تعالى كذلك ليس فيه تشبيه لانه ليس ذلك أخص الوصف فكذلك البراءة عن المكان والجهة ليس أخص وصف الاله بل أخص وصفه أنه قيوم أي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به وانه موجود بذاته لا بغيره فكل ما سواه موجود به لا بذاته بل ليس للاشياء من ذواتها الا العدم وانما لها الوجود من غيرها على سبيل العارية والوجود لله تعالى ذاتي ليس بمستعار وهذه الحقيقة اعني القيومية ليست الا لله تعالى (فقيل له) ذكرت معنى التسوية والنفخ والروح ولم تذكر معنى النسبة في الروح وانه لم قال من روحي ولم نسبه الى نفسه فان كان لان وجوده به فجميع الاشياء أيضا كذلك وقد نسب البشر الى الطين فقال اني خالق بشرا من طين ثم قال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وان كان معناه انه جزء

من الله تعالى فاض على القالب كما يفيض المال على السائل فيقول افضت عليه من مالى فهذه تجزئة لذات الله وقد ارطانتم هذا وذكرتم ان افاضته ليست بمعنى انفصال جزء منه (فقال) هذا كقول الشمس لو نطقت وقالت أفضت على الارض من نورى فيكون صدقا ويكون معنى النسبة ان النور الحاصل من جنس نور الشمس بوجه من الوجوه وان كان فى غاية الضعف بالاضافة الى نور الشمس وقد عرفت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفى قوته العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه مضاهاة ومناسبة فاذلك خص بالاضافة وهذه المضاهاة ليست للجسمانيات أصلا (فقيل له) فما معنى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى وما معنى عالم الامر وعالم الخلق (فقال) كل ما يقع عليه مساحة وتقدير وهو عالم الاجسام وعوارضها يقال انه من عالم الخلق والخلق هنا بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد والاحداث يقال خلق الشئ أى قدره قال الشاعر

ولانت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى تقدر ثم تقطع الاديم وما لا كمية له ولا تقدير فيقال انه أمر ربانى وذلك للمضاهاة التى ذكرناها وكل ما هو من هذا الجنس من أرواح البشر وارواح الملائكة يقال انه من عالم الامر فعالم الامر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير لانتفاء الكمية عنه (فقيل له) أتتوهم ان الروح ليس مخلوقا وان كان كذلك فهو قديم (فقال) قد توهم هذا جماعة وهو جهل بل نقول ان الروح غير مخلوق

بمعنى

بمعنى انه غير مقدر بكمية ولا مساحة فانه لا ينقسم ولا يتحيز ونقول انه
مخلوق لكنه بمعنى انه حادث وليس بقديم وبرهان حدوثه طويل
ومقدماته كثيرة ولكن الحق ان الروح البشرية حدثت عند استعداد
النطفة للقبول كما حدثت الصورة فى المرآة بحدوث الصقالة وان
كانت الصورة سابقة الوجود على الصقالة وايجاد هذا البرهان انها ان
كانت الارواح موجودة قبل الابدان لكانت اما كثيرة او واحدة
وباطل وحدتها او كثرتها فباطل وجودها وانما استحال وحدتها بعد
التعلق بالابدان لعلمنا ضرورة بان ما يعلمه زيد يجوز ان يجهله
عمرو ولو كان الجوهر العاقل منهما واحدا لاستحال اجتماع
المتضادين فيه كما يستحيل فى زيد وحده ونعنى بالجوهر العاقل الروح
ومحال كثرتها لان الواحد محال أن لا يثنى ولا ينقسم اذا كان ذا مقدار
كالاجسام فالجسم ينقسم فانه ذو مقدار وذو بعض فيتبعض اما ما
لا بعض له ولا مقدار فكيف ينقسم واما تقدير كثرتها قبل التعلق
بالبدن فمحال لانها اما أن تكون متماثلة أو مختلفة وكل ذلك محال
وانما استحال التماثل لان وجود المثلين محال فى الاصل ولهذا
يستحيل وجود سوادين فى محل وجسمين فى مكان واحد لان الاثنين
يستدعى مغايرة ولا مغايرة هنا وسوادان فى محلين جائز لان هذا يفارق
ذلك فى المحل اذا اختص بمحل لا يختص به الآخر وكذلك يجوز فى
محل واحد فى زمانين اذ لهذا وصف ليس للآخر وهو الاقتران بهذا
الزمان الخاص فليس فى الوجود مثلان مطلقا بل بالاضافة كقولنا زيد
وعمرو هما مثلان فى الانسانية والجسمية وسواد الحبر والغراب مثلان

فى السوادية ومحال تغايرهما الآن التغاير نوعان أحدهما باختلاف النوع والماهية كتغاير الماء والنار وتغاير السواد والبياض والثانى بالعوارض التى لا تدخل فى الماهية كتغاير الماء الحار والماء البارد فان كان تغاير الارواح البشرية بالنوع والماهية فمحال لان الارواح البشرية متفقة بالحد والحقيقة وهى نوع واحد وان كانت متغايرة بالعوارض فمحال أيضا لان الحقيقة الواحدة انما يتغاير عوارضها اذا كانت متعلقة بالاجسام منسوبة اليها بنوع ما اذ الاختلاف فى أجزاء الجسم ضرورة ولو فى القرب من السماء والبعد عنها مثلا أما اذا لم يكن كذلك كان الاختلاف محالا وهذا ربما يحتاجون فى تحقيقه الى مزيد تقدير لكن هذا القدر ينبه عليه (فقيل له) كيف يكون حال الارواح بعد مفارقة الاجساد ولا تعلق لها بالاجسام فكيف تكثرت وتغايرت (فقال) لانها اكتسبت بعد التعلق بالابدان أوصافا مختلفة من العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الاخلاق وقبحها فبقيت منها متغايرة فعقلت كثرتها بخلاف ما قبل الاجساد فانه لا سبب لتغايرها

﴿ فصل ﴾ فقيل له ما معنى قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته وروى على صورة الرحمن (فقال) الصورة اسم مشترك قد يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها وهى الصورة المحسوسة وقد يطلق على ترتيب المعانى التى ليست محسوسة بل للمعانى ترتيب أيضا وتركيب وتناسب ويسمى ذلك صورة فيقال صورة المسئلة كذا وكذا وصورة الواقعة

وصورة المسئلة الحسابية والعقلية كذا والمراد بالتسوية في هذه
الصورة هي الصورة المعنوية والاشارة به الى المضاهاة التي ذكرناها
ويرجع ذلك الى الذات والصفات والافعال فحقيقة ذات الروح انه
قائم بنفسه ليس بعرض ولا بجسم ولا جوهر متحيز ولا يحل المكان
والجهة ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا هو منفصل ولا هو داخل في
اجسام العالم والبدن ولا هو خارج وهذا كله في حقيقة ذات الله
تعالى وأما الصفات فقد خلق حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما والله تعالى كذلك وأما الافعال فبدأ فعل الآدمي ارادة
يظهر أثرها في القلب أولا فيسري منه أثر بواسطة الروح الحيواني الذي
هو بخار لطيف في تجويف القلب فيتصاعد منه الى الدماغ ثم يسري
منه أثر الى الاعصاب الخارجة من الدماغ ومن الاعصاب الى الاوتار
والرباطات المتعلقة بالعضل فتنجذب الاوتار فيتحرك بها الاصابع
ويتحرك بالاصابع القلم وبالقلم المداد مثلا فيحدث منه صورة ما يريد
كتبه على وجه القرطاس على الوجه المتصور في خزانة التخيل فانه ما لم
يتصور في خياله صورة المكتوب أولا لا يمكن احداثه على البياض
ثانيا ومن استقرأ افعال الله تعالى وكيفية احداثه النبات والحيوان
على الارض بواسطة تحريك السموات والكواكب وذلك بطاعة
الملائكة له في تحريك السموات علم ان تصرف الآدمي في عالمه أعني
بدنه يشبه تصرف الخالق في العالم الاكبر وهو مثله وانكشف له ان
نسبة شكل القلب الى تصرفه نسبة العرش ونسبة الدماغ نسبة
الكرسي والحواس كالملائكة الذين يطيعون الله طبعا

ولا يستطيعون خلافا والاعصاب والاعضاء كالمنوات والقدرة فى الاصابع كالطبيعة المسخرة المركوزة فى الاجسام والقرطاس والقلم والمداد كالعناصر التى هى امهات المركبات فى قبول الجمع والتركيب والتفرقة ومرآة التخيل كاللوح المحفوظ فمن اطلع بالحقيقة على هذه الموازنة عرف معنى قوله عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته ومعرفة ترتيب افعال الله تعالى معرفة غامضة يحتاج فيها الى تحصيل علوم كثيرة وما ذكرناه اشارة الى جملة منها (قيل له) فما معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه (قال) لان الاشياء تعرف بالامثلة المناسبة ولولا المضاهاة المذكورة لم يقدر الانسان على الترقى من معرفة نفسه الى معرفة الخالق فلولا ان الله تعالى جمع فى الآدمى ما هو مثال جملة العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من العالم وكانه رب فى عالمه متصرف لما عرف العالم والتصرف والربوبية والعقل والقدرة والعلم وسائر الصفات الالهية فصارت النفس بمضاهاتها وموازناتها مرقاة الى معرفة خالق النفس وفى استكمال المعرفة بالمسألة التى قبل هذه ما يكشف الغطاء عن وجه هذه المسألة (فقيل) له ان كانت الارواح حادثة مع الاجساد فما معنى قوله عليه السلام خلق الله الارواح قبل الاجساد بالفى عام وقوله عليه السلام انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا وقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال ليس فى هذا ما يدل على قدم الروح بل يدل على حدوثه وكونه مخلوقا نعم ربما دل ظاهره على تقدم وجوده على الجسد وامر الظواهر هين فان تأويلها ممكن والبرهان القاطع

لا يدرأ

لا يدرأ بالظواهر بل يسلط على تأويل الظواهر كما في ظواهر التشبيه
في حق الله تعالى أما قوله عليه السلام خلق الله الارواح قبل الاجساد
فلعله اراد بالارواح أرواح الملائكة وبالاجساد اجساد العالم من العرش
والكرسي والسموات والكواكب والهواء والارض والماء وكان
اجساد الآدميين بجملتهم صغيرة بالاضافة الى جرم الارض وجرم
الارض أصغر من جرم الشمس بكثير ثم لا نسبة لجرم الشمس الى فلكها
ولا لفلكها الى السموات التي فوقه ثم كل ذلك اتسع له الكرسي اذ وسع
كرسيه السموات والارض والكرسي صغير بالاضافة الى العرش فاذا
تفكرت في جميع ذلك احتقرت اجساد الآدميين ولم تفهمها من
مطلق لفظ الاجساد فكذلك فاعلم وتحقق ان أرواح البشر بالاضافة
الى أرواح الملائكة كاجسادهم بالاضافة الى أجساد العالم ولو انفتح
لك باب معرفة الارواح لرأيت الارواح البشرية بالاضافة الى ارواح
الملائكة كسراج اقتبست من نار عظيم طبق العالم وتلك النار العظيمة
هي ارواح الملائكة ولارواح الملائكة ترتيب وكل واحد منفرد
برتبته ولا يجتمع في مرتبة واحدة اثنان بخلاف الارواح البشرية
المتكثرة مع اتحاد النوع والرتبة أما الملائكة فكل واحد نوع برأسه
وكل ذلك النوع واليه الاشارة بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وانا لنحن الصافون وبقوله عليه السلام الراكع منهم لا يسجد والقائم
لا يركع وانه ما من واحد منهم الا له مقام معلوم فلا يفهم اذا من
الارواح والاجساد المطلقة الا أرواح الملائكة واجساد العالم
اما قوله عليه السلام انا أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا فالخلق

هنا هو التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته أمه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود وهو معنى قولهم أول الفكر آخر العمل بيانه ان المهندس المقدر للدار أول ما يتمثل في نفسه صورة الدار فيحصل في تقديره دار كاملة وآخر ما يوجد من آثار أعماله هي الدار الكاملة وهي أول الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبن وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار ولاجلها تقدمت الآلات والاعمال فاذا عرفت هذا فاعلم ان مقصود فطرة الآدميين ادراكهم لسعادة القرب من الحضرة الالهية ولم يكن ذلك الا بتعريف الانبياء وكانت النبوة مقصودة بالايجاد والمقصود كمالها وغايتها الا أولها وانما تكمل بحسب سنة الله تعالى بالتدريج كما تكمل عمارة الدار بالتدريج فتمهد أصل النبوة بآدم عليه السلام ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال بمحمد عليه السلام وكان المقصود كمال النبوة وغايتها وتمهيد أوائلها وسيلة اليها كتأسيس البنيان وتمهيد اصول الحيطان فانه وسيلة الى كمال صورة الدار ولهذا السر كان خاتم النبيين فان الزيادة على الكمال نقصان وكمال شكل الآلة الباطشة كف عليه خمس أصابع فكما ان ذا الاصابع الاربعة ناقص فذو الاصابع الستة ناقص لان السادسة زيادة على الكفاية فهو نقصان في الحقيقة وان كانت زيادة في الصورة واليه الاشارة بقوله عليه السلام مثل النبوة كمثل دار معمورة لم يبق فيها الا موضع لبنة فكنت أنا موضع تلك اللبنة أو لفظ

هذا

هذا معناه فاذا عرفت ان كونه خاتم النبيين ضرورة لا يتصور خلافه اذ بلغ به الغاية والكمال والغاية أول في التقدير آخر في الوجود وأما قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فهو أيضا اشارة الى ماذكرناه وانه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لانه لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع الصافي من ذريته ولا يزال يستصفي تدريجا الى ان بلغ كمال الصفاء فقبل الروح القدسي النبوي المحمدي ولا تفهم هذه الحقيقة الا بان تعلم ان للدار مثلا وجودين وجود في ذهن المهندس ودماغه حتى كانه ينظر الى صورة الدار ووجودها خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني سبب للوجود الخارجي العيني فهو سابق لا محالة فكذلك فاعلم ان الله تعالى يقدر أولا ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا وانما التقدير يرسم في اللوح المحفوظ كما يرسم تقدير المهندس أولا في اللوح أو في القرطاس فتصير الدار موجودة بكمال صورتها نوعا من الوجود فيكون هو سببا للوجود الحقيقي وكما ان هذه الصورة ترسم في لوح المهندس بواسطة القلم والقلم يجري على وفق العلم بل العلم يجريه فكذلك تقدير صور الامور الالهية ترسم أولا في اللوح المحفوظ وانما ينتقش اللوح المحفوظ من القلم والقلم يجري على وفق العلم واللوح عبارة عن موجود قابل لنقش الصور فيه والقلم عبارة عن موجود منه تفيض الصور على اللوح المنتقش فان حد القلم هو الناقش لصور المعلومات في اللوح واللوح هو المنتقش بتلك الصور وليس من شرطهما ان يكونا قصبا أو خشبا بل من شرطهما ان لا يكونا جسمين فالجسمية لا تدخل في حد القالبية وحقيقتها

بل روح القلمية واللوحية هو ما ذكرنا والزائد عليه صورته لا معناه فلا يبعد ان يكون قلم الله تعالى ولوحه لائقا باصبعه ويده وكل ذلك على ما يليق بذاته والهيته فتقدس عن حقيقة الجسمية بل جملتها جواهر روحانية عالية بعضها معلم كالقلم وبعضها متعلم كاللوح فان الله تعالى علم بالقلم فاذا فهمت نوعي الوجود فقد كان نبيا قبل آدم عليه السلام بمعنى الوجود الاول التقديري دون الوجود الثاني الحسي العيني والحمد لله رب

العالمين والصلاة والسلام على

سيد المرسلين وآله

وصحبه أجمعين

آمين

﴿ طبع في المطبعة الاعلامية بمصر المحمية سنة ١٣٠٣ ﴾

[illegible]

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي توحد في ذاته وتقدس في صفاته سبحانه أحصى كل شيء علما وقهر خلقه حكما ووسعهم حلما والصلاة والسلام على على سيد ولد آدم المتحقق بنصره الظاهر من أشرف عناصر العالم صلى الله عليه وعلى آله منار الهدايه وصحابته كواكب الحق وبدور الدرايه (اما بعد) فيقول الراجي من الله خير مثوبته عبده مصطفى بن الشيخ محمد قشيشه ان أجل ما حاولته الارواح البشريه وأنفس ما اكتسبته النفوس الزكية هو التحلي بالمعارف والتوشح بردائها الوارف والخوض في لججها الزاخره والاقتباس من سلافتها العاطره حتى تنتشل بذلك النفس من أوحال الغوايه وتلج بما اتصفت به باب الهدايه لاسيما ما كان راجعا منها الى المعاد وطأنا صاحبه على العمل الاستعداد كعلم التصوف الملقب بعلم القوم وعلم الكلام الذى وأول واجب لحفظ العقيدة وأعلى في السوم هذا وحسبك من تلك المجموعة ما حوته من ورق هذين العلمين في أوراقها وضمت عليه نطاقها فلعمري انها أسفرت عن أربعة أسفار وأعربت عن مخبآت حق أن تكتب بالنضار كيف وهي لامام الامة وقدوة الائمة الراقي بما حواه من المعارف سلم المعالي حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ولما لاح بدر تمامها وفاح مسك ختامها أرخ عام طبعها أخونا في الله الفاضل الاريب والالمعي الاديب الاستاذ العلامة الشيخ أحمد مفتاح أسبغ الله عليه حلل الفوز والنجاح فقال

نزه عيونك في ربا هذي الكتب * ودع التغزل في الغصون وفي الكثب
واشغل بالذكرى عرائس خدرها * وأزل بها عن قلبك العاني تعب
وأعد لنا خير الغزالي ربها * شيخ الائمة والهمام المنتخب
هو حجة الاسلام ذو الفضل الذي * جمعت به الدنيا وحق لها العجب
أحيا العلوم الدارسات بكتبه * وابان اسرار الغويص بما كتب
وافاض من فلك المعارف نيرا * لولاه ما برح الخفا لذي أرب
أوليس تلك الكتب أعدل شاهد * وأجل مشهود وارجح مكتسب
فلئن تكن نزرا فان بطيها * بحرا نضما يستطاب لذي طلب
ومذ اجتلاها الطبع في روض البها * تختال في برد الجمال ان خطب
قال القبول مقرظا ومؤرخا * الطبع زين طارزه تلك الكتب

١١٢ ٦٧ ٢٢١ ٤٥٠ ١٥٣

١٣٠٣